وزارة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

الاغتراب في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لديراو داتسيدا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- شهيناز رحموني
- جنات شارع

إشراف الدكتور:
منيرة شرقي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
جمعة طيبي	استاذ محاضر ب	رئيسا
منيرة شرقي	استاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
إبراهيم زرقي	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2022-2023

وزارة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

الاغتراب في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لديراو داتسيدا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- شهيناز رحموني
- جنات شارع

إشراف الدكتور:
منيرة شرقي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
جمعة طيبي	استاذ محاضر ب	رئيسا
منيرة شرقي	استاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
إبراهيم زرقي	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان

الحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات والسلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

بادي ذي بدء نشكر رب العباد العلي القدير شكرا كثيرا طيبا مباركا فيه الذي أنارنا بالعلم وزيننا بالحلم وأنعم علينا بالعافية وأنار طريقنا وأعاننا في إتمام هذه المذكرة وتقديمها على الشكل الذي هي عليه اليوم فله الحمد والشكر وهو الرحمن المستعان.

نتقدم بخالص الشكر وعميق الامتنان، وفائق الاحترام والتقدير لأستاذتنا –منيرة شرقي - الفاضلة التي كانت نعم الأستاذة طيلة مسارنا لإنجاز هذه المذكرة فلم تبخل علينا يوما بنصائحها وتوجيهاتها رغم كثرة التزاماتها ومسؤولياتها متمنين لها دوام الصحة والعافية.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نوجه شكرنا وامتناننا إلى جميع أساتذتنا بقسم اللغة العربية وآدابها الذين رافقونا طيلة مسيرتنا الجامعية.

الشكر الجزيل لكل من مد لنا يد العون ولو بكلمة طيبة.

إهداء

الشكر لله تعالى على نعمه وفضله

إلى والدينا الأعزاء

إلى إخواننا وأخواتنا

إلى أستاذتنا الفاضلة

نهديكم هذا العمل

شهيناز/جنات

مقدمة

مقدمة:

تعد الرواية جنسا أدبيا يعبر عن قضايا الإنسان، ذلك أنها اهتمت بحياة الأفراد والمجتمعات من مختلف المناحي الاجتماعية والتاريخية والسياسية والنفسية... وطرحت مضامين تخص أفكار الإنسان ومشاعره وطموحاته مما جعلها تكتسح حياته بصورة شاملة؛ ومن أبرز ما عبرت عنه هو "الاغتراب" الموضوع الذي يشغل مساحة معتبرة في النصوص الروائية، منها رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لـ (ديراو داتسيدا) التي شدت انتباهنا لمعالجتها الموضوع وجعلتنا نتساءل: كيف تجسدت ظاهرة الاغتراب في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"؟ وما أثرها على فنيات الرواية؟

حتى نجيب على ذلك قمنا بدراسة عنوانها "الاغتراب في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لديراو داتسيدا، نهدف من خلالها إلى إثراء الأدب الجزائري بالبحث وتحليل الرواية المختارة من منظور نقدي خاضع لتصور منهجي محدد، كذلك مقاربة الرواية من زاوية المضمون القائم على فكرة الاغتراب، وهو ما يعني قدرة الفن الروائي على التعبير عنها، وهي مستقاة من الحياة البشرية ومن أطر فلسفية ونفسية واجتماعية، ومن ذلك تتضح قيمة الموضوع المطروق.

كان اختيارنا للموضوع نابعا من اهتمامنا بالفن الروائي وبميولنا إلى تحليل القضايا والمضامين، لاسيما المرتبطة بالجانب النفسي للإنسان، خاصة وأن موضوع الاغتراب مستفز للباحث ويثير فيه العديد من التساؤلات، وهو نادر لم يطرح بكثرة، فمما عثرنا عليه مؤلف عنوانه "الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع" لـ (حليم بركات)، وقد خص فيه فصلا لتقديم تطبيقات في تجارب الاغتراب لست روايات، أما موضوع دراستنا فكان لرواية لم تدرس نهائيا من زاوية تجليات الاغتراب فيها.

ولأن دراستنا تهتم بالمضمون ومدى أثره على الجانب الفني، كان النقد الموضوعاتي بآلياته المتعددة الأنسب في إجراء المقاربة التطبيقية، خاصة وأنه ينفتح على المناهج النقدية مما جعلنا نستفيد أيضا من السيمياء.

تكونت خطة دراستنا من فصلين، كان الأول نظريا موسوما بـ "الإطار المفهومي" والمنهجي للدراسة، وفيه تناولنا مفهوم الاغتراب في اللغة وجذوره الفكرية، وحضوره عند الباحثين الفلاسفة الغربيين والعرب، وحضوره في الرواية العربية والغربية، ثم أخذنا الإطار المنهجي المتعلق بالموضوعاتية في النقد انطلاقا من التعريف اللغوي، ثم النشأة والجذور، ثم البحث في الموضوعاتية من منظور غربي وعربي لدى أبرز النقاد، ثم استخلاص أبرز مفاهيم الموضوعاتية وأهم مبادئها.

أما الفصل الثاني التطبيقي فكان موسوما بـ "تجليات الاغتراب في رواية أرهقتني المكسيك يا ماروشكا لديراو داتسيدا"، وقد تناولنا فيه أولا تحليل المستوى الموضوعاتي للرواية بدءا بالاغتراب الموضوع المهيمن، ثم موضوعي الحرب والحب وما لهما من صلات بالاغتراب، ثم ثانيا أثر الاغتراب على فنيات الرواية، من خلال أبرز العناصر السردية المتمثلة في الفضاء والزمن، وأيضا من خلال أبرز العتبات والتي برز عليها الأثر واضحا، وهي عتبة العنوان وعتبة الغلاف.

وكانت الخاتمة حاملة لأهم النتائج المتوصل إليها أبرزها هيمنة موضوع الاغتراب على مضمون الرواية، حتى أنه أثر على مواضيعها الأخرى (الحرب والحب)، وأثر كذلك على العناصر الفنية للرواية، سواء تعلقت بالمكونات السردية، أو بالعتبات النصية.

وقد استعنا بجملة من المراجع، فعلى غرار ما أسلفنا ذكره من كتاب لـ (حليم بركات) نذكر "نظرية الاغتراب من منظورين العربي والغربي" لـ (لزهر مساعدية)، و"الاغتراب في الشعر العربي المعاصر" لـ (محمد راضي جعفر)، ومؤلفات أخرى أفادتنا في الطرح المنهجي أبرزها "المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق" لـ (عبد الكريم حسن).

كل ذلك مكننا من الإلمام بعناصر موضوعنا وإجراء مقاربتنا النقدية، رغم ما صادفنا من صعوبات أبرزها صعوبة التعامل مع المفهوم "الاغتراب" المتعدد المنافذ.

في الختام نحمد الله الذي وفقنا في إنجاز بحثنا، ولا يفوتنا شكر أستاذتنا "منيرة شرقي" التي أشرفت على مذكرتنا، وقدمت لنا نصائح قيمة وتوجيهات مستمرة، كذلك شكرنا الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على مجهوداتهم النبيلة في القراءة والمناقشة والإثراء.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول:

الإطار المفهومي والمنهجي للدراسة

أولا/ الاغتراب في الأدب

ثانيا/ الموضوعاتية في النقد الأدبي

توطئة:

تعد قضية "الاغتراب" من القضايا المهمة في تاريخ البشرية جمعاء، وهي ظاهرة قديمة قدم الوجود الإنساني، والاغتراب كغيره من المصطلحات المعرفية الأخرى قد نال حظا وافرا من البحث والدراسة لاسيما في مجالي علم النفس والاجتماعي، وقد بدأ بدلالات بسيطة فكان يعبر عن الغربة المكانية وهي النزوح عن الوطن، ليتطور هذا المفهوم عبر التاريخ ليدل على العزلة والإنعزال، بالإضافة إلى شعور المرء بعدم الإنتماء لمجتمعه والإخفاق في التكيف مع الأوضاع الموجودة في ذلك المجتمع، ومن هنا وجب الوقوف على هذه الدلالات لمفهوم الاغتراب في شقيه اللغوي والاصطلاحي.

كما يعد "المنهج الموضوعاتي" من المناهج النقدية الهامة المعاصرة، إذ يقوم على مجموعة من الخلفيات الفكرية والفلسفية كالفلسفة الظواهرية، غايته في ذلك هو البحث عن التيمة أو الفكرة الأساسية التي يتمحور حولها النص الأدبي.

أولا: الاغتراب في الأدب

يعد الاغتراب قضية بارزة في الأدب المعاصر بسبب تغيرات الحياة، ولذلك استوجب التعريف به أولا ثم الحديث عنه في الرواية.

1- الاغتراب:

قبل أن يكون الاغتراب مصطلحا مستقلا بنفسه، يجدر التعريف به لغويا.

1-1 الاغتراب في اللغة:

جاء في "معجم العين" لمؤلفه (الخليل بن أحمد الفراهيدي) (100هـ/170هـ) في مادة غرب يقول: «الغرب: التمادي، وهو اللجاجة في الشيء، قال: قد كف من غربي عن الإنشاد، وكف من غربك، أي من حدتك، واستغرب الرجل إذا لج في الضحك خاصة [...] والغربة: الاغتراب من الوطن، وغرب فلان عنا يغرب غربا، أي تنحى، وأغربته وغربته، أي نحيته، والغربة: النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى»[1]. إذن فمصطلح الاغتراب هو نفسه الغربة ويدل على النزوح والابتعاد عن الوطن.

وجاء في معجم "لسان العرب" لـ (ابن منظور) أن كلا من الغربة والاغتراب يحملان معان عدة أهمها: التنحي والنوى والنزوح عن الوطن، يقول: «الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس [...] والغربة والغرب: النوى والبعد [...] والتغريب: النفي عن البلد [...]، والغربة والغرب: النزوح عن الوطن [...] واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوج إلى غير أقاربه [...] والاغتراب: افتعال من الغربة»[2]. فالاغتراب يدل على النفي والبعد عن البلد، بالإضافة إلى زواج الرجل من غير أقاربه.

كما ورد في "مختار الصحاح" قول (الرازي) في مادة (غرب) يقول: «(الغربة الاغتراب) تقول (تغرب) و(اغترب) بمعنى فهو (غريب) و(غرب) بضمتين والجمع

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج03، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003، ص 270-271.

2- ابن منظور: لسان العرب، مج05، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1997، ص 17-18.

(الغرباء). والغرباء أيضا الأباعد. و(اغترب) فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه [...] و(التغريب) النفي عن البلد. و(أغرب) جاء بشيء غريب. وأغرب أيضا صار غريبا»[1]. ومن هنا نلاحظ أن كلمتي الغربة والاغتراب قد دلتا على معان متنوعة منها: البعد والنفي عن البلد والإتيان بشيء غريب غير مألوف.

ومن المعاجم العربية المعاصرة والتي ورد فيها لفظ الاغتراب نجد "معجم اللغة العربية المعاصرة" للكاتب (أحمد مختار عمر)، يقول: «اغترب الشخص: بعد، نزح عن وطنه "اغترب بحثا عن لقمة العيش [...] اغتراب [مفرد]: مصدر اغترب، فقد الإنسان ذاته وشخصيته مما قد يدفعه إلى الثورة لكي يستعيد كيانه (...) غربة [مفرد]: مصدر غرب/ غرب عن وغرب. غربة روحية – فقد الأحبة غربة: من فقد أحبته صار كالغريب بين الناس، وإن لم يفارق وطنه»[2]. يدل مفهوم الاغتراب هنا على غربة الذات وفقد الإنسان لأحبته، وابتعاده عن وطنه بحثا عن لقمة العيش.

1-2 الجذور الفكرية للاغتراب:

لاقى مفهوم الاغتراب اهتماما كبيرا لدى المفكرين والفلاسفة، فقد ورد هذا المفهوم في الكتابات الفلسفية القديمة خاصة كتابات سقراط وأفلاطون، ثم عبر هذا المصطلح بدلالات تعود إلى الديانة المسيحية وحتى الإسلامية، ووصوله إلى منظري فكرة العقد الاجتماعي واهتمامهم به اهتماما بالغا.

ورد مفهوم الاغتراب عند (سقراط) في الكتب اليونانية القديمة حيث: «تشير الكثير من الكتابات الفلسفية إلى أن مفهوم الاغتراب قد وجد في الفكر اليوناني القديم وبخاصة عند سقراط (469-390ق.م) الذي كان بظهوره إيذانا بقيام ثورة عارمة على الأوضاع الفكرية

1- الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط01، 1993، ص 447.

2- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج01، دار عالم الكتب، القاهرة، ط01، 2008، ص 1601-1602-1603.

السائدة في مجتمعه مما يدلل على الدعوة للتغير الذي جعل بالمقابل أن أصحاب الفكر المحافظ يتهموه بإفساد عقول الناس عامة والشباب خاصة وأنه خارج عن التقاليد التي تناقش المبادئ المألوفة مثل: الحق، والخير، والجمال، والفضيلة»[1].

وهذا ما يدل على جهود سقراط في محالة تغييره لبعض الأفكار والمعتقدات السائدة في مجتمعه، إلا أنه لاقى سلسلة من العداء والنفور والكراهية من قبل بني جلدته.

كما نجد «هنالك من يرد الفكرة "الاغتراب" إلى أفلاطون (427-347ق.م) ونظريته عن الفيض والمثل الأفلاطونية والذي يرى بأن النفس اغتربت عن الآلهة حين سقطت في الخطيئة»[2]. وفي هذا إشارة إلى ما يعرف بالاغتراب الديني، فالإنسان يعد مغتربا حين ابتعاده عن عبادة خالقه.

كما «يمكن العودة بظاهرة الاغتراب إلى جذورها التاريخية في أفكار العهد القديم، وخاصة في سفر التكوين (Genesis) في بداية خلق آدم، وانفصال وتشكل حواء من أحد ضلوعه، ثم هبوطها إلى أسفل السافلين-الأرض»[3]. إذن فظاهرة الاغتراب تعود جذورها إلى الدين المسيحي، وقد تم ذكرها في كتاب العهد القديم.

ولقد «جاء في الإصحاح الثاني أن الله قد أخذ واحدة من أضلاع آدم وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم فخلق حواء هو أول انفصال في الكون، أما ثاني انفصال فيكمن في هبوط آدم من الجنة إلى الأرض، وهو أول اغتراب عن الله فقد عصى آدم ربه فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض

1- صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2010، ص 39.

2- المرجع نفسه، ص 39.

3- لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2013، ص 15.

التي أخذ منها»[1]. فأول اغتراب حسب ما دلت عليه الديانة المسيحية هو نزول آدم عليه السلام إلى الأرض نتيجة عصيانه لله تعالى.

وقد تناول أصحاب نظرية العقد الاجتماعي مفهوم الاغتراب، «ولعل جان جاك روسو (1712-1778م)، هو أول من استعمل كلمة "الاغتراب" صراحة في مؤلفه العقد الاجتماعي، فقد ورد في الفصل الرابع من الكتاب الأول من العقد ما نصه: إن الاغتراب معناه التسليم أو البيع... فالإنسان الذي يجعل من نفسه عبدا لآخر، إنسان لا يسلم نفسه، وإنما هو بالأحرى يبيع نفسه من أجل بقائه على الأقل»[2]. ينطوي هذا التعريف على جانبين جانب إيجابي وآخر سلبي، فالإيجابي يتجسد في تضحية الفرد بذاته وممتلكاته لصالح الجماعة أو للدفاع عن الوطن، أما الجانب السلبي فيتمثل في فقدان الإنسان لذاته فيشعر بأنه مغترب عن نفسه وأنه عبد للمؤسسات الاجتماعية أو أنه سلعة تباع وتشترى في هذه الحياة.

كما نلمح ظاهرة "الاغتراب" لدى الإنسان العربي القديم خاصة في ميدان الشعر –قبل الإسلام- والذي اتخذه كوسيلة لتخفيف من معاناته «فهذا الشاعر عنترة بن شداد العبسي (...) قد صور لنا لونا من ألوان الاغتراب العنصري أو العرقي نظرا لسواد لونه والذي كان نقمة عليه من طرف قبيلته بما في ذلك أبوه وعمه، كما كان لنسبه إلى أمه "الأمة الحبشية" كبير الأثر في إبعاد أهله له، وقد عذب وأهين فأحس بمرارة ذلك الاغتراب وصرح قائلا:

المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عني اليوم مصروف»[3].

يمكن القول أن اغتراب الشاعر عنترة بن شداد كان سببه التمييز العنصري الذي شعر به رغم وفائه لأهله ولقومه إلا أنه قوبل بالرفض والإجحاف في حقه.

1- لزهر مساعدية، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 15-16.

2- محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2013، ص 25.

3- لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 67-68.

ولقد تناول جمهور فقهاء الإسلام ظاهرة الاغتراب، حيث قاموا بتقسيم هذا الأخير إلى ثلاثة أصناف:

أ- الصنف الأول: «اغتراب الأوطان ويتميز باشتراك الناس جميعهم فيه، فكلهم في دار الدنيا غرباء، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)» [1]. نفهم من هذا النوع من الاغتراب أن الإنسان يعد مغتربا عن موطنه الأصلي (الجنة) والتي خرج منها أبوه آدم عليه السلام نتيجة عصيانه لخالقه، إذن فالدنيا دار عمل لا دار مستقر.

ب- الصنف الثاني: «اغتراب الحال وهو اغتراب رجل صالح في زمن فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين أو صديق بين قوم منافقين. فاغتراب الحال هو انفصال الإنسان المؤمن عن الحياة الاجتماعية الزائفة»[2]. يعد هذا النوع من الاغتراب اغترابا إيجابيا ففيه يبتعد المؤمن أو الرجل الصالح عن كل ما يلهيه من أمور دنيوية زائلة تلهيه عن حياته الحقيقية ألا وهي الآخرة.

ج- الصنف الثالث: «اغتراب الهمة وهو اغتراب العارفين، ويعتبر أعلى درجات الاغتراب»[3]، ويقصد باغتراب العارفين اغتراب فئة من الناس واللذين يطلق عليهم بأهل المتصوفة فهم مغتربون عن الناس والحياة وقريبون من الله سبحانه وتعالى، وهذه الفئة لا تشعر بهذا النوع من الاغتراب لأنهم يجدون فيه نوع من اللذة والطمأنينة تنسيهم هموم الدنيا ومشاغلها.

ومن هنا نستنتج أن ظاهرة الاغتراب هي ظاهرة إنسانية قديمة لها جذورها الفكرية في العالمين الغربي والعربي.

1- فتاش نورة: الاغتراب، دلالة المفهول وتجلياته في المجتمع العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، مج32، ع03، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، 2021، ص 509.

2- المرجع نفسه، ص 509.

3- المرجع نفسه، ص 510.

2- الاغتراب من منظور غربي:

يعد الفيلسوف الألماني (فريدريش هيجل) من أبرز المنظرين لظاهرة الاغتراب في العصر الحديث، إذ وظف مصطلح الاغتراب في فلسفته وقام بدراسته دراسة معمقة خاصة في كتابه "ظاهريات الروح".

2-1 الاغتراب عند هيجل (1770-1831م)

يعرف الفيلسوف (جورج فيلهلم فريدريش هيغل) (Georg wilhelm Fredrich Hegel) "الاغتراب" بأنه: «حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته»[1]. ويعني بذلك عجز الإنسان عن تحقيق ذاتيته واستقلاليته فأصبح غير قادر على السيطرة على ممتلكاته، فالاغتراب هنا عبارة عن حالة تحول لأن الفرد لم يعد يتمتع بحقوقه لأنها سلبت منه واتجهت لصالح الغير.

إن «الهو الصالح في ذاته ولذاته –وفي الحال- أعني الذي بلا اغتراب، إنما يعدم الجوهر، إن هو إلا لعبة تلك العناصر الصاخبة، فجوهره إنما هو اختراجه ذاته، والاختراج هو الجوهر»[2]. فالجوهر الإنساني لدى (هيجل) لا يكتمل إلا بتقديم هذه الذات إلى العالم والذي يسمى بالاختراج، فهنا يكمن ذلك الجوهر.

وقد «دعا هيجل إلى العمل السياسي المدعوم بما أسماه بالدين الذاتي الذي يعني عنده الدين الدنيوي الإنساني الذي يتصل بالقلب والعواطف مناقضا الدين الموضوعي: دين اللاهوت الكهنوتي الجامد، وذلك من أجل بلوغ روح الشعب مستلهما في ذلك دولة المدينة

1- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط01، 2006، ص 37-38.

2- هيغل: فنومينولوجيا الروح، تر وتقد: ناجي العونلي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط01، 2006، ص 514.

اليونانية التي يتطلع مرة أخرى إلى بعثها، ومبادئ الثورة الفرنسية التي استبشر خيرا بقيامها»[1]. انتقد هيجل هنا الدين اللاهوتي (الكنيسة) لأن هذا الدين يمنع الفرد من إبداء رأيه الخاص، لذلك دعا إلى ما أسماه بالدين الذاتي لكي لا يقع الإنسان ضحية الاغتراب الديني، كما دعا إلى العمل السياسي الحر الذي يتمكن فيه الفرد من التعبير عن رأيه بكل حرية والحصول على حقوقه بكل شفافية.

يرى (هيجل) أن مصطلح "الاغتراب" يحتوي على معنيين مزدوجين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، «فنحن نرى المعنى الإيجابي الذي يتمثل في تخارج الروح وتجليه، على نحو إبداعي، في الطبيعة أولا، وفي أضرب الحضارة المختلفة بعد ذلك، مثلما نرى المعنى السلبي، والذي يتمثل في عدم قدرة الذات على التعرف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات»[2]. يقصد (هيجل) بالمعنى الإيجابي هو رؤية الذات للعالم، وهذه الرؤية تجعلها دائما في مرحلة متطورة من الخلق والإبداع والتميز، أما ما يقصده بالمعنى السلبي هو شعور الإنسان بانفصاله عن ذاته وإحساسه بالاغتراب عن هذا الوجود.

اقترح (هيجل) اقتراحا هاما يتمثل في القضاء على ظاهرة الاغتراب، ويكون ذلك حين تندمج مصالح الخاصة مع العامة، «أما التغلب على حالة الاغتراب فيتم بقيام مجتمع حقيقي تندمج فيه جميع المصالح الخاصة والعامة»[3]. فهنا يدعو إلى المساواة في الحقوق بين أصحاب المصالح الخاصة والعامة لقيام دولة يسودها الأمن والاستقرار.

2-2 الاغتراب بعد هيجل:

ومن أبرز المنظرين والمفكرين الذين جاؤوا بعد هيجل والذين اهتموا بظاهرة الاغتراب نجد الفيلسوف لودفيغ فويرباخ والفيلسوف كارل ماركس.

1- محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 27-28.

2- محمود رجب: الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط03، 1988، ص 15.

3- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 38.

أ- الاغتراب عند لودفيغ فويرباخ (1804م-1872م):

اهتم الفيلسوف الألماني (لودفيغ فويرباخ) (Ludwig Feuerbach) بظاهرة الاغتراب من خلال نقده للدين المسيحي في كتابه الشهير "جوهر المسيحية" حيث يرى أن الدين ما هو إلا «نتاج الإنسان الذي دفعه إلى الخوف من مواجهة الأخطار الطبيعية التي تحيط به إلى خلق قوة وهمية تفوق الطبيعة وتتجاوزها، ثم منح هذه القوة صفات الكمال، ومن هنا نشأت الألوهية»[1]. يبين (فويرباخ) هنا أن فكرة الإله ما هي إلا فكرة صنعها الإنسان في عقله ومنحها كل صفات الكمال لشعوره بالعجز، فيقترب من هذا الإله الوهمي ليتجاوز بذلك كل مخاوفه التي تسيطر عليه.

ويبين أن «الإله لا وجود له وإنما وهبه الإنسان صفة الوجود، ولأن مخيلة الإنسان لا تعمل إلا في المحسوسات، فإن الإنسان وهب هذا المعبود المتخيل صفاته، ولكن بشكل كامل، فله القدرة الكاملة والعلم التام»[2].

فينفي فويرباخ فكرة وجود الإله، وفي هذا إشارة لإلحاده وتهجم على ثوابت الدين المسيحي، ويرى أن الإنسان قد أعطى صفاته الخيرة لهذا الإله الوهمي، ونستنتج بذلك أن صفات هذا الإله ما هي إلا صفات بشرية «فعملية إسقاط الصفات الإنسانية على الله هذه هي ما يقصد بها فكرة الاغتراب الديني بأوسع معانيه»[3]. ويقصد بذلك أن الإنسان قد اغترب حين أعطى لذلك الإله صفاته الخيرة التي يتمتع بها وصار يعبد إلها يحمل كل صفاته، فأصبح الإله رمزا للكمال والإنسان رمزا للنقص والعجز والضعف.

1- ذيب حدة: الاغتراب الديني عند فيورباخ وأثره على كارل ماركس، قسم الفلسفة، جامعة عباس لغرور، خنشلة، ص 186.

2- أحمد السيد عبد الحميد محمد الفار: مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، 20-03-2021، ص 29.

3- المرجع نفسه، ص 26.

ب- الاغتراب عند كارل ماركس (1818-1883):

ربط الفيلسوف الألماني (كارل ماركس) (Karl marx) مسألة الاغتراب بالوضع الاقتصادي، وتحدث عن ذلك في كتابه الشهير "مخطوطات اقتصادية وفلسفية"، وكان له «الفضل في تحويل الاغتراب من مفهومه الفلسفي اللاهوتي إلى مفهوم آخر اجتماعي اقتصادي»[1]. فالاغتراب الاجتماعي متمثل في انقسام المجتمع إلى طبقات وعدم المساواة بينها، أما الاغتراب الاقتصادي فيتمثل في شعور العامل بعدم انتماءه إلى مكان عمله رغم حضوره الشخصي لإحساسه بالظلم والعجز.

ويعرف (كارل ماركس) الاغتراب بأنه: «حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد إن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه، ومعادية له»[2]. ويعني بذلك أن العامل في المجتمعات الرأسمالية ما هو إلا مجرد سلعة، فكلما زاد انتاجه نقصت قيمته، إذن فالعبرة بالانتاج والفائض وليس قيمة الإنسان وشعوره.

إذن «فالعامل يزداد فقرا كلما زادت الثروة التي ينتجها، وكلما زاد انتاجه قوة ودرجة، والعامل يصبح سلعة أكثر رخصا كلما زاد عدد السلع التي يخلقها»[3]. نستخلص من هذا النص أن قيمة الإنسان تنزل إلى أدنى مستوى بسبب قوة انتاجه في ظل عمله في المجتمع الرأسمالي.

ويؤكد (ماركس) على أمرين هما: «الأول: عندما يكون الإنسان في حالة العمل، وبخاصة عندما يمارس هذا العمل في نطاق رأسمالي فإنه يكون دائما في حالة اغتراب عن قواه الإبداعية»[4].

1- سعاد مريمي: قراءة في مفهوم الاغتراب (Read the concept of alienation)، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع01، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب، 2020، ص 64.

2- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 39.

3- كارل ماركس: مخطوطات كارل ماركس، تر: محمد مستجير مصطفى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 68.

4- تواتي حواء، بلغول بثينة: الاغتراب في رواية "ابن الرماد" لفوزية عرفات، شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019-2020، ص 26.

نلاحظ هنا غياب الإبداع عند العامل في النظام الرأسمالي بسبب وجود إرادة أخرى غريبة عنه تسيره وتتحكم فيه، أما «الآخر: شعوره بالغربة نتيجة لإحساسه بأن وجوده هو من أجل الإنتاج بدلا من أن يكون الإنتاج موجودا من أجله»[1]. يبين لنا هنا شعور العامل بالذل والعبودية وكأنه سلعة تباع وتشترى في ظل وجوده وعمله في المجتمع الرأسمالي الذي لا يهمه شيء سوى تحقيق الأرباح.

ولكي يتم القضاء على ظاهرة الاغتراب لدى العمال حسب كارل ماركس والتقليص من نفوذ الطبقة الحاكمة، يجب تجاوز الملكية الخاصة «فبالنسبة إلى ماركس الذي بات مؤمنا بقوة دكتاتورية البرولتاريا وبدورها الإيجابي والفعال في القضاء تدريجيا على كل أشكال النزاعات المتولدة عن النظام الرأسمالي الحديث، لم يكن الخلاص الحقيقي برأيه ممكنا إلا إذا أعيد تنظيم الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع بصورة يتم من خلالها تجاوز الملكية الخاصة»[2]. يتضح لنا دعوة (كارل ماركس) لطبقة البروليتاريا بالثورة على النظام الرأسمالي الذي اتخذ من وسائل الانتاج وسيلة للسلطة والنفوذ على طبقة العمال.

3- الاغتراب من منظور عربي:

لقيت ظاهرة الاغتراب اهتماما واسعا من قبل المسلمين والمفكرين العرب من بينهم الفيلسوف "أبو حيان التوحيدي" الذي عايش هذه الظاهرة وتأثر بها تأثر كبيرا.

3-1 الاغتراب عند التوحيدي:

كان الفيلسوف (أبو حيان التوحيدي) (310هـ-414هـ) يعاني من حالة اغتراب شديدة، ولقد عبر عنها في كتابه "الإشارات الإلهية" ببعديها المادي والمعنوي، حيث يقول: «فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان»[3].

1- تواتي حواء، بلغول بثينة: الاغتراب في رواية "ابن الرماد" لفوزية عرفات، ص 26.

2- وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس – دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة، (د.ط)، 2013، ص 131.

3- أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2013، ص 19.

في هذا السند يعبر عن شعوره بالاغتراب داخل وطنه، وبين أهله ومجتمعه، وهذا أشد أنواع الاغتراب التي يمر بها الإنسان.

ولعل من أسباب اغتراب (أبو حيان التوحيدي) أنه «كان منبوذا من طرف الطبقة الحاكمة والوزراء، لأنه كان صريحا لا يجاملهم في المجالس ولكن يمكن أن لا تعقل أنه كان إنسان مثقف ويلحق بصفوف العلم ويمجد العلم والعلماء»[1]. مما تقدم يمكن القول أن من أسباب اغتراب (التوحيدي) هو التقليل من قيمة الحكماء والوزراء وعدم مجاملتهم واستعداده دائما لقول الحق، فكان ذلك المثقف الغريب الذي خاب أمله من مجتمعه ورجاؤه فيه.

ولقد قدم لنا (أبو حيان التوحيدي) وصفا لحال الغريب في كلمات كلها حزن وأسى يقول: «الغريب من إذا ذكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زجر، الغريب من إذا أسند كذب، وإذا تظاهر عذب، الغريب من إذا امتار لم يمر، وإذا قعد لم يزر»[2]. في هذا النص إشارة عن إحساسه بالاغتراب داخل مجتمعه الذي لم يشعر بألمه وغربته.

إن شعوره بالاغتراب داخل وطنه الذي لم يوفر له الحياة الكريمة، والمجتمع الذي لم يحترم مقام العلماء والأدباء، جعله يقدم على إحراق كتبه في آخر أيام عمره، حيث يقول: «ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولدا نجيبا، وصديقا حبيبا، وصاحبا قريبا، وتابعا أديبا، ورئيسا منيبا، فشق علي أن أدعها لقوم، يتلاعبون بها ويدنسون عرضي، إذا نظروا فيها»[3]. وهذا ما يدل على عدم انسجامه مع قومه، والشعور الدائم بالانفصال عنهم لعدم احترامهم لقيمة العلم والعلماء واتباعهم لشهوات الدنيا وملذاتها.

1- عمرون مليكة، كبير محمد: مشكلة الاغتراب في فلسفة أبو حيان التوحيدي، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج07، ع02، جامعة وهران02، محمد بن أحمد (الجزائر)، أفريل 2022، ص 641.

2- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع، دمشق، ط01، 2000، ص 20-21.

3- المرجع نفسه، ص 18.

2-3 الاغتراب بعد التوحيدي:

ومن أبرز الفلاسفة الذين جاؤوا بعد الفيلسوف (أبو حيان التوحيدي) والذين اهتموا بظاهرة "الاغتراب" نجد الفيلسوف (ابن باجة) الأندلسي والفيلسوف (محي الدين ابن عربي).

أ- الاغتراب عند ابن باجة:

لقد اهتم (ابن باجة) الأندلسي (487هـ-533هـ) بمسألة "الاغتراب" اهتماما بالغا، فقد عاش في عصر يضطهد فيه المفكرون والفلاسفة فكان اغترابه روحيا وعقليا وفلسفيا، وقد وصف المغتربين في كتابه تدبير المتوحد وأطلق عليهم اسم النوابت حيث يقول: «فهؤلاء هم من لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة، وهؤلاء هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء، لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم غرباء في آرائهم فقد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان»[1]. إذن فهؤلاء المغتربين اللذين أطلق عليهم باسم النوابت أي العشب النابت في غير موضعه قد اتخذوا من أفكارهم موطنا لهم فهم يشعرون بأنهم غرباء في وسط مجتمعهم وأهلهم بسبب اختلاف آرائهم وأفكارهم.

إذن فـ (ابن باجة) يرى أن «النابتة المتوحد هو غريب الرأي والأفكار والمفاهيم [...] فهو في داخله ينشد صورة المجتمع العادل الذي تتألف فيه القيم الإنسانية العليا، وحين يفتقدها في حياة مجتمعه وقد أنهكته الصراعات الطائفية والقبلية [...] فيلجأ بالتالي إلى الاغتراب ملجأه الوحيد لينسجم مع فكره وشعوره مدبرا أمر نفسه، متوحد معها»[2]. فهنا يطمح لإقامة مجتمع عادل تسوده العدالة الاجتماعية، إلا أنه رأى في مجتمعه انحطاطا كبيرا في القيم الأخلاقية والعرفية مما جعله يتخذ مسلكا إلى طريق الاغتراب لينسجم مع ذاته وفكره وشعوره.

1- محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 22.

2- مليكة عمرون: التوحد والاغتراب في فلسفة ابن باجة، قسم الفلسفة، جامعة وهران، ص 82-83.

ب- الاغتراب عند ابن عربي:

تناول الفيلسوف المتصوف (محي الدين ابن عربي) (558هـ-638هـ) فكرة "الاغتراب" ويرى «أن أول غربة اغتربناها وجودا حسيا عن وطننا، غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات، فكانت الأرحام وطننا، فاغتربنا عنها بالولادة»[1]. ويعني بذلك أن وجوده في هذا الكون أي عالم الشهادة هو وجود مغترب عن وطنه الأصلي الجنة، وأن الاغتراب التالي الذي حصل للإنسان هو خروجه من بطن أمه أي وطنه الثاني إلى الحياة الدنيا ليصطدم بأنواع مختلفة من الاغتراب.

ويمكن القول أن الفيلسوف (ابن عربي): «يغلب عليه الشعور بالغربة الكونية، لدرجة تجعلنا نستشف معها نزعة عدمية، قوامها الهرب من هذا الوجود الحسي الأرضي بوصفه غريبا، وغير أصيل، وذلك بالرجوع إلى الله والفناء فيه بوصفه الوجود الحق أو –على حد تعبير الصوفية- الوطن الأصلي»[2].

ومن هنا نستنتج أن اغتراب الإنسان الصوفي يختلف عن أنواع الاغتراب الأخرى، فهو يشعر دائما بأنه مغترب في هذا الوجود وأن غايته الأساسية هو الوصول إلى الله والقرب منه، لذلك يجد في هذا القرب راحة وطمأنينة تنسيه هموم الحياة ومشاكلها.

4- الاغتراب في الرواية:

تعد ظاهرة الاغتراب ظاهرة بارزة في العديد من الأعمال الأدبية عامة، وفي جنس الرواية خاصة، لأنها عبارة عن سلسلة من الوقائع والأحداث تسرد بشكل نثري لذلك لها القدرة في إبراز هذه الظاهرة وسردها بكل أنواعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

1- عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003، ص 20.

2- محمود رجب: الاغتراب سيرة مصطلح، ص 182.

1-4 الاغتراب في الرواية الغربية:

تناول عدد من الروائيين الغربيين هذه الظاهرة في أعمالهم الأدبية خاصة الروائية منها، ونذكر «رواية (روبنسون كروزو) ولدانيال ديفو، وتعد الرواية الرائدة في هذه المجال، حيث عبرت عن البطل المغترب في جزيرة نائية لمدة ثمانية وعشرين عاما بعد أن غرقت سفينته، فيحاول التكيف مع واقعه الجديد والتفاعل معه، وبالأدق صنع عالم مواز لعالمه أو موطنه الأول»[1]. فهنا سرد لمعاناة البطل من الاغتراب المكاني ومحاولاته للتأقلم مع الطبيعة.

كما نجد رواية "الغريب" لـ (ألبير كامو) التي كتبها عام 1941 وقد تحدث فيها عن نظرته للحياة واغترابه فيها، إذ تعد هذه الرواية من «أهم الروايات التي طرحت أزمة الوجود الإنساني [...] فالبطل في هذه الرواية يحكم عليه بالإعدام، وهو حين يصف حالته يوم تنفيذ الحكم يعبر عنها بـ: الإحساس باللافرق في هذا الكون، في اغتراب الإنسان عن نفسه، وعن مجتمعه، اللافرق بين الموت والحياة»[2]. فهذه الرواية توحي باغتراب الفرد داخل مجتمعه، بالإضافة إلى نظرة الروائي إلى الحياة بطريقة عبثية.

ونشير أيضا إلى كتاب "اللامنتمي" للأديب البريطاني (كولن ويلسون) والذي تم إصداره عام 1956، والذي يعالج فيه حالة الإنسان اللامنتمي داخل بيئته، إذ «يعرف ويلسن اللامنتمي بقوله: إنه الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واه، والذي يشعر أن الاضطراب والفوضوية هما أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه»[3].

1- عادل هنداوي شعبان: تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر، مركز اللغات الجامعة الحديثة، 27 يناير 2017، ص 70.

2- أمينة بوعلامات: الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في الفترة (1925-1980)، تلمسان، 08 جوان 2011، ص 28.

3- لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 44.

فالأديب هنا يصف حالة المبدعين وعزلتهم الدائمة عن مجتمعهم، فصفة اللانتماء بارزة لديهم، لعدم انتمائهم إلى أي نظام أو حزب معين بسبب عدم توافق أفكارهم مع أفكار غيرهم من أهل بيئتهم.

2-4 الاغتراب في الرواية العربية:

لقد تناول الروائيون العرب ظاهرة الاغتراب في أعمالهم الإبداعية، إذ «حملت الرواية العربية بذور الاغتراب في بنيتها الداخلية، وازداد أكثر في الروايات التي طرقت الصراع الحضاري، حيث يتجلى اغتراب الأبطال ذاتيا وجماعيا ومكانيا»[1]. بسبب تعرضهم لظروف معينة شملت جميع المجالات.

تعد رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لمؤلفها السوداني (الطيب صالح) والتي صدرت عام 1966م من أبرز الروايات التي تناولت موضوع الاغتراب، «ذلك أن "مصطفى سعيد"، الشخصية الرئيسية في الرواية، يعاني من اغترابين: الاغتراب بمعنى الابتعاد عن الوطن لأنه بعيد عن وطنه السودان، والاغتراب بمعنى الانفصال عن الذات والمحيط من خلال ما يشعر به "مصطفى سعيد" من تصدع داخلي نابع من الصراع بين الأنا والآخر داخله، صراع بين ثقافته السودانية الأم التي تمثل ماضيه، والثقافة الغربية التي تمثل حاضره»[2]. نستنتج أن شخصية مصطفى سعيد قد عانت من اغترابين حادين، الأول متمثل في بعده عن وطنه، أما الثاني فيتمثل في العادات والتقاليد التابعة لبلده وحالة التخلف السائدة في مجتمعه.

1- هاجر مباركي، محمد سعيدي: إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟ مجلة العلامة، ع06، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، جوان، 2018، ص 138.

2- وليد بن خليفة، محمد الهادي بوطارن: الآليات الفنية لتوظيف ظاهرة الاغتراب في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج09، ع05، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2020، ص 764.

كما نجد رواية "ثرثرة فوق النيل" لمؤلفها المصري (نجيب محفوظ) والتي صدرت عام 1966، إذ تعد من «بين روايات اللامواجهة التي تصور الإنسان في حالة اغتراب وهرب من الواقع بدلا من الكفاح والسعي لتغييره [...] إلى عالم خاص من صنع مخيلتها من دون أن تجد فيه ملجأ حقيقيا من مشكلات تلاحقها من دون رأفة»[1]. فشخصيات هذه الرواية قد فضلت الهروب والإنعزال عن الواقع الإجتماعي بدلا من تغييره لتبني في مخيلتها عالما خاصا بها تشعر فيه بالأمان والطمأنينة.

كما تعد رواية "هجرة السنونو" لمؤلفها الروائي (حيدر حيدر) من الروايات التي عنيت بظاهرة الاغتراب إذ نقلت «مأساة البلدان العربية التي تعيش سلسلة من الهزائم على الصعيد الاجتماعي والسياسي، والثقافي –خاصة- التي يعاني منها المثقف العربي، فأزمة المثقف تتمثل في شعوره بالمسؤولية، يرافقها الشعور بالعجز من تغيير الواقع»[2]. إذن فهذه الرواية قد نقلت معاناة المبدعين والمثقفين في أوطانهم لعجزهم عن تغيير الواقع، نتيجة لظروف معينة، كالتعصب القبلي أو لتمسك مجتمعهم بمجموعة من العادات والتقاليد الخاطئة الموروثة عن آبائهم.

1- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 149.

2- هاجر مباركي، محمد سعيدي: إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استيلاب؟، ص 140.

ثانيا: الموضوعاتية في النقد الأدبي

تعتبر المقاربة الموضوعاتية من أهم المقاربات النقدية الهامة، إذ تستند على مجموعة من المفاهيم والخلفيات الفكرية والفلسفية أثناء دراستها للعمل الأدبي.

1- الموضوعاتية:

قبل أن تصبح الموضوعاتية مصطلحا مستقلا بذاته، يستوجب التعريف به لغويا.

1-1 الموضوعاتية في اللغة:

اشتق لفظ "الموضوعاتية" من كلمة موضوع، وورد هذا اللفظ تحت ماد وضع في المعاجم العربية، ويعرفه (ابن منظور) في كتابه "لسان العرب" بقوله: «الوضع: ضد الرفع، وضعه يضعه وضعا وموضوعا، وأنشد ثعلب بيتين فيهما: موضوع جودك ومرفوعه، عني بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به والمرفوع ما أظهره وتكلم به»[1]. هنا يفرق (ابن منظور) بين الشيء المرفوع والموضوع من خلال المثال الذي استشهد به، فيتحدث عن جود الممدوح، ويرى فيه جانبين أولهما موضوع مضمر لا يعرفه كل الناس، أما الثاني فواضح مرفوع يعرفه الناس.

أما في المعاجم الحديثة نجد "معجم اللغة العربية المعاصرة" لـ (أحمد مختار عمر) يقول في مادة وضع: «موضوع [مفرد]: ج موضوعات ومواضيع: اسم مفعول من وضع [...] مادة يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه [...] أدرك الموضوع: فطن إليه – أصاب لب الموضوع: أدرك أساسه [...] قتل الموضوع بحثا: درس الأمر من كل جوانبه»[2]. ويقصد بذلك الرسالة المراد إيصالها إلى السامع، ويقال درس الموضوع من كل نواحيه أي قتل بحثا ودراسة.

1- ابن منظور، لسان العرب، مج08، ص 396.

2- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 2457.

وقد استعمل (رشيد بن مالك) مصطلح "تيمي" المترجم من اللغة الفرنسية (Thématique) في كتابه "قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" إذ يقول: «يستعمل تيمي في بعض الأحيان للدلالة على المضمون الدلالي للنص، يعني الموضوع الذي يتطرق له الكاتب»[1]. ويعني بذلك أن لفظ تيمي يقصد به الموضوع الذي يشير إليه الكاتب في نصه.

كما يرى (جميل حمداوي) أن لفظ الموضوعاتي مشتق من كلمة (Théme) الفرنسية يقول في ذلك: «يشتق مصطلح (الموضوعاتي/ thématique) في الحقل المعجمي الفرنسي، من كلمة (Théme) وهي "التيمة"، وترد هذه الكلمة بعدة معان مترادفة، كالموضوع، والغرض، والمحور، والفكرة الأساسية والعنوان، والحافز، والبؤرة، والمركز والنواة الدلالية...الخ»[2]. من هنا نستنتج أن كلمة موضوعاتية المشتقة من كلمة موضوع تعبر عن معان ودلالات مختلفة، منها العنوان الأساسي أو الموضوع المشار إليه في الكلام أو في العمل الأدبي.

1-2 نشأة الموضوعاتية وجذورها:

يعتبر المنهج الموضوعاتي من المناهج النقدية التي يعتمد عليها في دراسة الأعمال الأدبية، «وقد نشأ هذا المنهج في أحضان الفلسفة الظواهرية، وتغذى على أفكار الفيلسوف الفرنسي (غاستون باشلار) (Gaston Bachelard) (1884-1962)، الذي يشكل ((المصدر النظري لمفهوم ومصطلح النقد الموضوعاتي)) كما يقول أحد الدارسين، ونما وتطور، ابتداء من ستينيات القرن العشرين، في بيئة نقدية فرنسية أساسا»[3].

1- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي – إنجليزي – فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، (د.ط)، فيفري 2000، ص 237.

2- جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، مكتبة المثقف، ط01، 2015، ص 06.

3- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2007، ص 147.

يفهم من هذا النص أن المنهج الموضوعاتي قد نما في بيئة فرنسية مستندا على خلفية فلسفية متمثلة في الفلسفة الظواهرية.

كما تستند «المقاربة الموضوعاتية إلى خلفية فلسفية وابستمولوجية تتمثل في ظاهراتية (إدموند هورسل) (1859-1938)، ومجهود الفلاسفة الظاهريين الوجوديين، أمثال: هيدجر، وجان بول سارتر (Sartre) وغاستون باشلار (Bachlard)، ومن المعلوم أن الظاهراتية، وخصوصا فلسفة هورسل جاءت رد فعل على النزعتين: المثالية والتجريبية معا (فلسفة الذات والموضوع)»[1]. نلاحظ أن المقاربة الموضوعاتية تقوم على أسس ومبادئ.

الفلسفة الظواهرية والتي أتت كرد فعل على النزعتين المثالية والتجريبية، «لأن المثالي يستبعد العالم الخارجي كمصدر للمعرفة والتجريبي يؤكد على الدور السلبي للوعي، أما هوسرل فيرى أن الوعي والعالم الخارجي يمثلان حقيقة ماثلة، وأن الوعي عندما يفكر في العالم يتجه إليه بصورة مباشرة تكون فيها الذات قاصدة، والشيء الخارجي مقصودا»[2]. فالحقيقة لدى (هوسرل) تقوم على عنصرين هما: الوعي والعالم الخارجي، وتكون فيها الذات واعية بنفسها وبما يقع في الخارج من أمور.

ومما أسلفنا نلاحظ الارتباط الوثيق الذي يربط النقد الموضوعاتي بالفلسفة الظواهرية «التي فحواها أن معرفة العالم لا تتأتى بغير تحليل وعي الذات وهذا الوعي الذي يستبطن الأشياء كما هي بمعزل عن الذات شيء لا طائل منه»[3].

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أهمية الوعي في إدراك موضوعات العالم الخارجي، ولا يتأتى ذلك إلا بذات تعي ذلك.

1- جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص 17.

2- حميد لحمداني: سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، عن منشورات دراسات سيميائية أدبية ولسانية (دراسات سال)، فاس، المغرب، ط02، 2014، ص 30.

3- يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من "اللانسوية" إلى "الألسنية" إصدارات رابطة إبداع الثقافية، جامعة قسنطينة، (د.ط) (د.ت)، ص 169.

وقد أشار الكاتب (حميد لحمداني) في كتابه "سحر الموضوع" إلى العلاقة التي تربط النقد الموضوعاتي بالفلسفة الوجودية، إذ يقول: «وقد تبين لنا بوضوح أن علاقة هذا المنهج بالفلسفة الوجودية على الأخص كانت متينة، إلى حد أن بعض الدارسين اعتبروا (جان بول سارتر) واحدا من النقاد الموضوعاتيين رغم أنه أسس نمطه النقدي الوجودي المتميز»[1]. نلاحظ هنا مدى اندماج الموضوعاتية بالمناهج الأخرى واعتبار أصحاب الفلسفة الوجودية على أنهم نقاد موضوعاتيون.

كما نشير إلى علاقة النقد الموضوعاتي بالرومانسية «إن النقد الموضوعاتي هو إيديولوجيا ابن الرومانسية، ومع ذلك فإن مرجعية "الموضوعات" في الدراسات الأدبية تعود إلى فترة أبعد من ذلك بكثير، فالمصطلح موروث عن علم البلاغة القديم الذي يعطي أهمية كبيرة لـ "الموضعية" (Topos)، وهي عنصر مدلولي (élément de signification) حاسم في أي نص إلا أنه كان لابد من انتظار تطورات العلوم المقارنة –في اللسانيات والأدب- في بداية القرن التاسع عشر كي يكتسب المفهوم أهمية أكبر»[2]. نلاحظ وجود مصطلح "الموضوع" في البلاغة القديمة، ليتطور هذا المفهوم بعد ذلك في القرن التاسع عشر ليبرز دوره في الدراسات المقارنة.

2- الموضوعاتية من منظور غربي:

من أبرز المنظرين الغربيين نجد (جان بيير ريشار) و(جون بول ويبر):

2-1 الموضوعاتية عند جان بيير ريشار:

اهتم الناقد الفرنسي والأستاذ الجامعي (جان بيير ريشار) (J.P.Richard) (1922-2019) بالمنهج الموضوعاتي، ونجد جهوده بارزة في ذلك من خلال كتبه حول هذا المنهج، «فقد بدأ حياته النقدية عام 1954، وفي عام 1961 نال شهادة الدكتوراه ببحثه عن الشاعر الفرنسي مالا رميه وهو يستند إلى خلفية فكرية ونقدية تسمح له ببناء منهجه النقدي الخاص

1- حميد لحمداني: سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، ص 34-35.

2- مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص 97.

به، والذي يستند إلى الفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجيا) (Phenomenologie) التي يمثلها إدموند هوسرل (E. Hosserl) والفلسفة الوجودية لدى جان بول سارتر (J. Sarter) وفلسفة العناصر الأربعة عند (غاستون باشلار) (G. Bachlard)» [1]. نلاحظ تأثر (ريشار) بمجموعة من الأسس الفلسفية التي كان لها الأثر البارز في دراساته النقدية.

إن النص عند (ريشار) بمثابة بنية، ومع ذلك فإنه «لا ينفي أن يكون النص الإبداعي نتاجا تاريخيا، أي وليد ظروف اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية معينة، فإنه لا يدرس النص من خلال تأثير هذه العوامل الخارجية فيه، وإنما من خلال لعبة العلاقات الداخلية بين عناصره»[2]. فتأثر الناقد بالمنهج البنيوي الذي يقوم أساسا على دراسة العلاقات الداخلية للنص الإبداعي، وعدم السماح للعوامل الخارجية أن تؤثر فيه.

لقد وصف الناقد (محمد عزام) المنهج الموضوعاتي لدى (ريشار) إذ يقول: «يتمثل (المنهج الموضوعاتي) عند ريشار، في استنطاق مدلولات الصياغة اللفظية عبر ألفاظها وتراكيبها، وفق مبدأ التقدم والارتداد، وإضاءة المستوى اللغوي بالمستوى النفسي، وبالعكس»[3]. فالنقد الموضوعاتي لدى (ريشار) يقوم على الاهتمام بالمدلولات الموجودة في النص من خلال الألفاظ والتراكيب.

ويضيف "محمد عزام" قائلا: «يتمثل منهج ريشار النقدي في البحث عن الاختيارات والأفكار المتسلطة على الكاتب، والمشكلات التي تكمن في أعماق وجوده الشخصي [...] ولتحقيق هذا الغرض فإن الناقد يحاول تأليف (متحف) من الموضوعات والصور والإيقاعات المفضلة لدى الكاتب، باعتبارها وسائل التعبير الأولية التي يبدع الكاتب بوساطتها

1- محمد عزام: وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان –دراسة- من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1998، ص 18.

2- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، ص 14.

3- محمد عزام: وجوه الماس، ص 19.

عالمه»[1]. كان اهتمام الناقد بالجانب النفسي بارزا، فحاول تحديد الموضوع الذي سيطر على ذهن الكاتب، وصولا إلى الموضوعات الفرعية التي تنبثق من الموضوع الرئيسي.

2-2 الموضوعاتية عند جون بول ويبر:

يعد الناقد الفرنسي (جون بول ويبر) (Jean- paul - weber) من أشد النقاد اهتماما بالنقد الموضوعاتي، ولقد كان شديد الاهتمام بمفهوم الجذر، والجذر عنده عبارة عن «حادث أو موقف يمكن أن يظهر بصورة شعورية أو لا شعورية في نص ما، بصورة واضحة أو رمزية، فهو يقارب (العقدة) في التحليل النفسي، لأنه يظل (غير مفهوم) من الكاتب نفسه، باعتباره يعود إلى عهد الطفولة»[2]. فالجذر عنده مرتبط بمرحلة الطفولة، ويظهر ذلك جليا في الأعمال الأدبية التي ينتجها الأديب بصورة شعورية أو غير شعورية في نصوصه.

ولقد «تراءى له أن الأعمال الإبداعية الكاملة عند المؤلف إنما تدور –مهما تلونت بالرموز والصور- حول موضوع رئيسي، ويرتبط هذا الموضوع بحدث منسي في طفولة المؤلف، ويشترط "فيبر" لطريقته ثلاثة شروط وهي حقيقة اللاوعي، وأهمية الطفولة والإمكانية في أن يعبر الرمز عن حقيقة قديمة أغفلها المبدع»[3]. نلاحظ اهتمام الناقد بالحالة النفسية لدى المؤلف مع وجود موضوع رئيسي واحد منسي وموجود في نفسية هذا المؤلف انبثقت منه مجموعة من المواضيع الثانوية الأخرى.

كما قام بتطبيق «منهجه الجذري على النصوص الشعرية وجد أن الشاعر دوفيني قد توقف عند موضوع (الساعة)، وهذا جذر شخصي جعله الشاعر موضوعه الملح، وأن الشاعر مالارميه قد توقف عند (الطير المحتضر، أو الطير الذي وقع في الفخ) وهذه كلها

1- محمد عزام: وجوه الماس، ص 20.

2- المرجع نفسه، ص 27.

3- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، ص 16.

جذور شخصية، بخلاف (الجذور العامة) التي هي مشتركة بين أشخاص لا حصر لهم»[1]. نلاحظ انبثاق عدة جذور من موضوع رئيسي واحد، وهذه الجذور تنقسم حسب الناقد إلى جذور شخصية وأخرى عامة.

3- الموضوعاتية من منظور عربي:

من أبرز الدارسين للمنهج الموضوعاتي في العالم العربي نجد (عبد الكريم حسن) و(محمد عزام).

3-1 الموضوعاتية عند عبد الكريم حسن:

لقد ظهر المنهج الموضوعاتي في النقد العربي في الثمانينات من القرن السابق من خلال تقديم مجموعة من الرسائل والأطروحات الجامعية، «ولعل كتاب (الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب) للدكتور عبد الكريم حسن هو فاتحة عهدنا الرسمية بهذا الشأن، وهو –في الأصل- أطروحة دكتوراه دولة ناقشها صاحبها في جامعة السربون بباريس سنة 1980، وأشرف عليها أندري ميكال وغريماس»[2]. إذن فالرسالة الجامعية التي قدمها (عبد الكريم حسن) تعد من أهم الإرهاصات الأولى للمقاربة الموضوعاتية في النقد العربي.

كما قام بتأليف كتاب بعنوان "المنهج الموضوعي – نظرية وتطبيق" الذي يعد من أهم الكتب النقدية الموضحة للنقد الموضوعي، وقد قسمه إلى ثلاثة فصول، فالفصل الأول قدم فيه عدة مفاهيم تخص هذا النقد، والفصل الثاني قدم فيه دراسة تطبيقية مترجمة للشاعر "بول إلوار"، أما الفصل الثالث فقد قدم فيه نقدا للمنهج الموضوعي.

يرى (يوسف وغليسي) أن دراسة (عبد الكريم حسن) «ليست دراسة لموضوعات منتقاة أو مبعثرة، وإنما تحاول ((اكتشاف شبكة العلاقات الموضوعية التي تنتظم داخلها وتتمفصل هذه الموضوعات)) منطلقة من (الجذور اللغوية) للشبكة المعجمية التي تنسجها النصوص

1- محمد عزام، وجوه الماس، ص 28.

2- يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر، ص 171.

[...] وعليه يرى الناقد أن منهجه موضوعاتي لأنه (بحث في الموضوع) وهو بنيوي لأنه يكتشف البنية التي تتشابك فيها هذه الموضوعات الشعرية»[1]. إذن فالمنهج الموضوعي لدى (عبد الكريم حسن) يقوم بتتبع الموضوعات والأفكار الواردة في العمل الأدبي للوصول إلى الموضوع الرئيسي الذي يحوم حوله النص.

2-3 الموضوعاتية عند محمد عزام:

يعد الناقد (محمد عزام) من أهم النقاد المنظرين للمنهج الموضوعاتي في العالم العربي، من خلال كتابه الذي ألفه والذي يحمل عنوان "المنهج الموضوعي في النقد الأدبي".

ولقد قدم كتابا آخر بعنوان "وجوه الماس – البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان"، إذ تطرق فيه إلى ذكر أهم رواد المنهج الموضوعاتي في الغرب لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المنهج (الثيمي) في النقد العربي المعاصر، ويختتم كتابه بدراسة تطبيقية تدور حول أعمال علي عقلة عرسان.

يرى (محمد عزام) أن النقد الموضوعاتي مختلف تماما عن النقد الموضوعي في «أنه يبحث عن الموضوع (أو الثيمة) التي تشكل الكاتب وتظهر في كتاباته، وهو يشبه (العقدة) في التحليل النفسي الفرويدي، لأنه يبقى لا شعوريا»[2]. إذن فالنقد الموضوعاتي يبحث في الموضوع أو الفكرة الأساسية التي انبثقت عنها الموضوعات الثانوية، كما نلاحظ هنا اهتمام الناقد بالجانب النفسي نوعا ما.

ويضيف (محمد عزام) في كتابه "وجوه الماس" قائلا: «الموضوعاتية: فهي (الثيمية) وتدل على (الموضوعات) الكامنة في الأثر الأدبي»[3]. إذن فالموضوعاتية تبحث عن الأفكار المهيمنة في النص الأدبي.

1- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 161.

2- محمد عزام: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي –دراسة- من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1999، ص 165.

3- محمد عزام: وجوه الماس، ص 13.

4- مفاهيم الموضوعاتية:

للموضوعاتية مجموعة من المفاهيم نذكرها كالآتي:

4-1 التيمة/ الموضوع:

إن الكلمة الفرنسية (Théme) قد عربت إلى كلمة "تيمة"، وبالتالي فالتيمة هي نفسها الموضوع، ويعرف (عبد الكريم حسن) "الموضوع" قائلا: «الموضوع هو المبدأ الذي تلتقي عنده كافة المفاهيم التي تؤسس المنهج الموضوعي»[1]. فالموضوع هو النواة الأساسية لالتقاء جل المفاهيم التي تؤسس المنهج الموضوعي.

أشار (محمد عزام) إلى الموضوع الظاهر والموضوع الخفي من خلال مجهودات ريشار إذ يقول: «يميز ريشار بين نوعين من المعنى: (المعنى الظاهري) و(المعنى الخفي)، ومهمة النقد هي الكشف عن المعنى الخفي في النص الأدبي، ذلك أن المعنى موجود، وعلى الناقد إيقاظه من سباته العميق»[2]. ميز ريشار بين المعنى الظاهري والخفي، وكشف أن مهمة النقد تكمن في إظهار المعنى الخفي في النص الأدبي، لأن المعنى موجود وعلى الناقد إخراجه من نومه العميق ليظهر للقارئ بكل وضوح.

عرف سعيد علوش الموضوع بأنه: «مجموعة من المفردات التي تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة»[3]. فما يشكل الموضوع هو مجموعة من المفردات المنتمية إلى عائلة لغوية معينة، تكون بمثابة حقل دلالي واحد.

4-2 الجذر:

ملاحظة: لقد أشرنا إليه سابقا في عنوان "الموضوعاتية" عند (جون بول ويبر)[*].

---

[1]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، ص 37.

[2]- محمد عزام: وجوه الماس، ص 23.

[3]- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، المغرب، ط01، 1989، ص 39.

* انظر: الصفحة 27 من المذكرة.

ويضيف (جون بول ويبر) تعريفا آخر للجذر إذ يقول: «شبكة منظمة من الأفكار الملحة على أديب أو كاتب ما، [...] وأن يبحث عن الجذر الكامن في أعماق الإبداع عنده»[1]. فالجذر مرتبط بالحالة النفسية للأديب، إذ يبحث في الفكرة أو الموضوع الذي يهيمن على ذهن الكاتب.

فرق (يوسف وغليسي) بين مفهومي "الموضوع" و"الجذر" إذ يقول: «(الموضوع) يتمظهر على السطح المعجمي للنص، وهو يقتضي دراسة بنيوية محايثة (Immanente) لا يتعدى مجالها الحيوي ظاهر النص، أما (الجذر) فهو رحم الموضوع ونواته السيكولوجية التي يرتد إليها، فهو –إذن- موغل الامتداد في باطن المؤلف، لذلك لا مناص من دراسته دراسة سياقية (Contextuelle) وفقا لأبجديات التحليل النفسي»[2]. فالموضوع يهتم بالموضوعات الظاهرة على سطح النص، أما الجذر فهو بمثابة البيئة الداخلية التي ينشأ فيها الموضوع.

3-4 الموضوع المهيمن:

بين (محمد عزام) أن الموضوع المهيمن ينال كامل اهتمام الكاتب، مستخلصا ذلك من تجربة ريشار: «يحاول ريشار العثور على (القصد) الأساسي للكاتب، أو (مشروعه) الذي يقود مغامرته الأدبية، أو (موضوعه) الذي يستحوذ على كامل اهتمامه، في مستواه البدئي، المحسوس، معترفا بدينه، في هذه الخطوة، لباشلار»[3]. يحاول (ريشار) الحصول على القصد الأساسي الذي يقود موضوعه الأدبي والذي شغل كامل اهتمامه.

تقوم «المقاربة الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة، [...] ولا يمكن للمقاربة الموضوعاتية أن تبرز الفكرة المهيمنة، والتيمة المحورية، إلا بعد الانطلاق

---

[1]- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط01، 2003، ص 254.

[2]- يوسف وغليسي: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري كلام المنهج... فعل الكلام، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 48.

[3]- محمد عزام: وجوه الماس، ص 20.

من القراءة الصغرى نحو القراءة الكبرى، وتعرف الجنس الأدبي، ورصد حيثياته المناصية والمرجعية، وتفكيك النص إلى حقول معجمية، وجداول دلالية إحصائية، لمعرفة الكلمات والعبارات والصور المتكررة في النص أو العمل الإبداعي»[1].

نلاحظ هنا استناد المقاربة الموضوعاتية على مجموعة من الركائز والأسس لدراسة العمل الأدبي.

4-4 العائلة اللغوية:

إن مصطلح العائلة اللغوية يقصد به الحقل الدلالي للألفاظ، إذ يقوم «بالاستناد إلى ((ثلاثة مبادئ: الأول وهو الاشتقاق، والثاني وهو الترادف، والثالث وهو القرابة المعنوية (Parenté sémique))» [2]. فالاشتقاق هو مجموع الكلمات والمفردات التي تشتق من أصل لغوي واحد، أما الترادف فهو مجموع الألفاظ والكلمات التي تحمل في طياتها معنى واحد، والقرابة المعنوية فتعني مجموع الكلمات التي ترتبط بمعنى واحد بحيث يكون هذا المعنى له صلة وطيدة بباقي المفردات.

بين (يوسف وغليسي) مفهوم العائلة اللغوية إذ يقول: «إن مفهوم (العائلة اللغوية) الذي يحدد الموضوع هو مفهوم مؤلف من خلاصات مرجعية مختلفة (لكن الناقد لا يفصح عنها!)، مستمدة من فقه اللغة أحيانا (الاشتقاق، الترادف)، ومن مفهوم (العائلة اللفظية) (Famille de Mots) بالذات، في المعجمية الفرنسية»[3]. فمصطلح العائلة اللغوية يستمد مفهومه من فقه اللغة ومن مفهوم العائلة اللفظية.

---

[1]- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، هذا الكتاب منشور في شبكة الألوكة، المغرب، (د.ط)، 2011، ص 381.

[2]- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 161-162.

[3]- المرجع نفسه، ص 162-163.

5- مبادئ النقد الموضوعاتي:

للنقد الموضوعاتي مجموعة من المبادئ نذكرها كالآتي:

5-1 التشجير الموضوعاتي:

يقوم «مفهوم (الشجرة) الذي يصطنعه (عبد الكريم حسن)، لتجسيد شبكة العلاقات الموضوعاتية، بشكل يوهم القارئ أنه ابتكار اصطلاحي ومفهومي، كان يقتضي الإحالة على الدلالة اللسانية لهذا المفهوم، حيث تشيع في الدراسات اللغوية الغربية مصطلحات الشجرة (Arbre) والشجرة البيانية (Arbrediagrame) والمخطط الشجري (Graphe Arborexcent) بمعنى ((التمثيل التخطيطي البياني لنتائج التحليل...))» [1].

إذن فمصطلح "الشجرة" هو مصطلح أتى به الناقد (عبد الكريم حسن) ليعبر به عن مجموع العلاقات الموضوعاتية المتجذرة من موضوع رئيسي واحد، إذ يمثل هذا المصطلح أثناء الدراسة الموضوعاتية على شكل مخطط شجري أو منحنى بياني.

5-2 الانفتاح:

يقوم النقد الموضوعاتي على مبدأ الانفتاح، إذ ينفتح على مجموعة من المناهج النقدية الأخرى فـ: «كل ما يشغل بال الناقد الموضوعاتي هو جزئيات المحتوى، والقضايا المضمونية التي تثيرها بعض جوانب النص، والنقد الموضوعاتي يقترب في هذا الجانب من سوسيولوجيا المضامين إلا أنه يبيح لنفسه في التأويل أن يستفيد من جميع المعارف: من الفلسفة والتاريخ، وعلم الأفكار وعلم النفس وغيرها»[2]. فالنقد الموضوعاتي يدرس الجانب المضموني للأعمال الأدبية ويقوم بتحليلها، إذ يستعين بمختلف التصورات التي تقدمها المناهج النقدية الأخرى.

---

[1]- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 164.

[2]- حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط01، 1990، ص 148.

يرى (حميد لحمداني) في كتابه "سحر الموضوع" أن «رواد هذا الاتجاه النقدي لا يخفون مسألة انفتاح ممارساتهم النقدية على كل المناهج، ومن خلال أقوال جان بيير ريشار يمكننا أن نمتلك مزيدا من الوضوح عن هذا النقد، حتى ولو كان ذلك في إطار المراوحة بين حصر المنهج وجعله منفتحا في نفس الوقت»[1]. يرى (حميد لحمداني) أن المنهج الموضوعاتي ينفتح على مجموعة من المناهج النقدية التي تسمح بمقاربة النصوص والكشف عن مضامينها.

يرى (جميل حمداوي) أن الموضوعاتية قد استفادت من المناهج السياقية إذ يقول: «اقترنت المقاربة الموضوعاتية في تطورها التاريخي، ومن خلال تصوراتها النظرية وتطبيقاتها الإجرائية بمجموعة من المناهج المضمونية والشكلية، سواء أكانت وصفية أم معيارية، داخلية أم خارجية [...] بالتحليل النفسي، والفلسفة الوجودية، وعلم النفس، وعلم الأفكار الذي يمد الموضوعاتيين "بالتيمات" لتتبعها في نتاجات المبدعين»[2]. فالمقاربة الموضوعاتية قد اعتمدت في مسارها التاريخي على مجموعة من الخلفيات الفلسفية، كالفلسفة الوجودية، وعلى المناهج السياقية كالمنهج النفسي.

[1] - حميد لحمداني: سحر الموضوع، ص 32.

[2] - جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص 18.

خلاصة الفصل:

تعد ظاهرة "الاغتراب" ظاهرة قديمة، إذ تعبر عن حالة الفرد نتيجة تعرضه لظروف أثرت في حياته بشكل سلبي، ويعد الفيلسوف الألماني (فريدريش هيجل) أول من استخدم مصطلح "الاغتراب" في فلسفته بطريقة منهجية مفصلة، أما في العالم العربي فنجد الفيلسوف (أبو حيان التوحيدي) الذي يعتبر من أبرز الفلاسفة المسلمين اللذين تأثروا بهذه الظاهرة، كما نلمح وجود هذه المسألة في العديد من الروايات الغربية والعربية.

نشأت الموضوعاتية في بيئة نقدية فرنسية، وقد حمل لواءها العديد من الفلاسفة والنقاد كالفيلسوف (غاستون باشلار) والناقد (جان بيير ريشار)، ولقد كان حضورها في البيئة العربية بارزا في الثمانينات من القرن السابق، كما أنها تنفتح على مجموعة من المناهج النقدية الأخرى، كالمنهج النفسي خصوصا.

الفصل الثاني:

تجليات الاغتراب في رواية

"أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لدير او داتسيدا

أولا: المستوى الموضوعاتي في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"

ثانيا: أثر الاغتراب على فنيات رواية "أرهقتني المكسيك يا ما روشكا"

توطئة:

شهدت ظاهرة الاغتراب حضورا قويا في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"، إذ اعتمدت على أهم التقنيات السردية كالفضاء والاستباق والاسترجاع، بالإضافة إلى العتبات المتمثلة في الغلاف والعنوان، فأتى حضورها متأثرا بالاغتراب.

أولا: المستوى الموضوعاتي في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"

ركزت الرواية في موضوعاتها على الاغتراب والحرب والحب.

1- الاغتراب/ الموضوع المهيمن:

يقول مصطفى فاسي في كتابه دراسات في الرواية الجزائرية: «إن من أهم المواضيع التي تناولتها الرواية الجزائرية والتي ما تزال تمثل مجالا خصبا للتناول حتى الآن بسبب مالها من أهمية خاصة لارتباطها بالمجتمع الجزائري الحديث موضوع الهجرة والاغتراب»[1]، فالحديث عن الاغتراب في الروايات الجزائرية لا يزال قائما إلى حد الآن، ويضيف قائلا إلى «أن الروايات الجزائرية التي تناولت موضوع الغرب قليلة، وذلك بطبيعة الحال لا يرجع إلى عدم أهميته ومجالاته الخصبة، بقدر ما يعود أولا إلى سيطرة الواقع الجزائري الداخلي بهمومه وقضاياه المختلفة»[2]. فالاهتمام بموضوع الاغتراب في البلدان الغربية قليل جدا، نظرا لاهتمام الدارسين الجزائريين بالواقع الداخلي للبلد.

لا يمكن حصر الاغتراب في مفهوم واحد، فقد اعتبر «أغلب الباحثين ظاهرة الاغتراب، ظاهرة إنسانية وجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي كل الثقافات ولكن بدرجات متفاوتة، ذلك أن الاغتراب قد يعني الانفصال وعدم الانتماء، ويعرف أيضا بأنه وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به، وبصورة تتجسد في الشعور بعدم

[1]- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2000، ص 153.

[2]- المرجع نفسه، ص 154.

الانتماء والسخط والقلق»[1]. فالاغتراب حالة إنسانية وجدت عبر التاريخ الإنساني، إذ تعبر عن مجموعة من الأحاسيس والمشاعر السلبية التي يمر بها الإنسان ويشعر بها.

فهذه الظاهرة قد مر بها الإنسان منذ زمن بعيد فـ: «كانت تقوده حينا إلى التمرد والعصيان ومواجهة المجتمع، وحينا إلى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات»[2]، إذن هناك خياران لهذه المسألة إما المواجهة وتحدي الصعوبات، أو الاستسلام والانغلاق على الذات.

يحدثنا عبد الحليم بركات في كتابه عن تجربته في الاعترابية من خلال روايته طائر الحوم: «حاولت أن أعبر عن تجربة المنفى في مختلف أبعادها في المنفى أجد شجرة الوطن تغرق جذورها عميقا في داخلي فأتنقل، ذهابا وإيابا، ومن خلال التداعي النفسي وعلى أجنحة المخيلة بين الكهولة والطفولة، وبين مدينة أمريكية هي واشنطن، وقرية سورية هي الكفرون، كل ذلك في مناخ نفسي تأملي متوتر معا، وفي زمن محدود هو بضعة أيام، يبدي الكاتب اشتياقه لبلده وهو في وطن الغربة، إذ يصف ملامحها وشوارعها الجميلة وهذا ما يدل على اغترابه المكاني[3].

ركزت رواية أرهقتني المكسيك يا ماروشكا، على تصوير اغتراب الشخصية الرئيسية، مما جعل الاغتراب موضوعا مهيمنا وفكرة مسيطرة على مضمون الرواية، وقد عبرت عنه مجموعة من المفردات التي تشكل عائلة اللغوية (الغربة، المطاردة والملاحقة، الحزن، العنف)، والتي يكون تحليلها كالآتي:

إن محور رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" يدور حول تلك الشخصية، شخصية (سيف) الذي دفعته الظروف إلى العمل في المكسيك، إذ يعبر عن ذلك في رسالات عديدة

---

[1]- أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، ص 13.

[2]- محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص 15.

[3]- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 150.

لحبيبته (ماروشكا)، يقول: «لقد كان الأسبوع الفارط غريبا يا ماروشكا فقد أمضيت معظمه أبحث عن الدماء في حقل سنابل! لقد أخبرتك أن المكسيكيين ينوون سلبنا حقلنا»[1].

فعمله متمثل في حماية الحقول المكسيكية من الاعتداءات الإرهابية، ويواصل حديثه مع (ماروشكا) إذ بقوله: «ضغوطات العمل تقهرني يا حبيبتي، لا أدر[*] إن كانت نفسيتي هشة أم آمالي عطشة، كل ما أعلمه أنني كغريق يتشبث بقشة»[2]. ويضيف قائلا: «أنا صائم يا حياتي، لكن الصوم في المكسيك أشبه بإضراب عن الطعام، فعملي يقتضي أن لا أصوم على شيء ما عدا الطعام»[3]، فهنا يعبر عن الضغوطات التي يتعرض إليها أثناء تأدية مهامه، فضغوطات عمله قد أفقدت شهيته للأكل والشرب، بعد ذلك تعبر (ماروشكا) عن استيائها من طبيعة عمل حبيبها (سيف) إذ تقول: « مستاءة لأنني أعلم أن قلبك قد صار جامدا منذ أن حملت السلاح ... مستاءة ولست من تقوى على الصراخ والنواح! (...) أنا أعلم سبب اضطرابك يا سيف! إنه العمل ! لطالما جعلك عملك مزاجيا في كل تصرفاتك وفي شتى أفعالك»[4].

فطبيعة ذلك العمل الذي يقوم به (سيف) قد أفقده التعبير عن مشاعره التي يشعر بها، والمتمثلة في الأحزان والهموم التي يتكبدها جراء هذا العمل، فحبيبته تخبره أنها لا تقوى على الفراق وتقصد بذلك فراق الموت، إذن فالاغتراب الذي يعانيه هذا البطل كان جراء ضغوطات عمله التي يتعرض لها يوميا.

وتواصل ماروشكا حديثها، فتخبر حبيبها بأن طبيعة عمله أمر أزعج والدتها، تقول: «عملك في المكسيك قد أزعجها كثيرا، لقد قالت لي إن كل من يعمل في المكسيك مكسيكي،

---

[1]- ديراو داتسيدا: أرهقتني المكسيك يا ماروشكا، دار المثقف للنشر والتوزيع، ط 1، 2018، ص 42-43.

* خطأ مطبعي، صوابه أدي، فلا يوجد مسوغ لحذف حرف العل.

[2]- ديراو دانسيدا: أرهقتني المكسيك يا ماروشا، ص: 48.

[3]- الرواية، ص: 60.

[4]- الرواية، ص: 62.

وأنها لن تزوج ابنتها لمكسيكي مهما حصل»[1]. فوالدة (ماروشكا) لم تسمح لابنتها بالزواج من (سيف) لأنها ترى كل من ذهب إلى المكسيك وعمل بها صار مكسيكيا، إذن فهي تعارض هذا الزواج وترفضه رفضا قطعيا.

ويقوم (عبد الجليل) -زميل سيف في الكفاح- بسؤال صديقه (سيف) عن سبب اعتناقه للجنسية المكسيكية والعمل في هذا البلد إذ يقول في ذلك: « لما[*] اخترت أن تكون مكسيكيا؟ "لم أتمالك نفسي لسؤاله هذا السؤال الذي أرغب بطرحه على جميع المكسيكيين (...) "الخبزة"! هكذا كان جوابه (...) "الخبزة" هي كلمة عامية تعني لقمة العيش، عرفت بعد سنوات أن أسباب قدوم الشباب إلى المكسيك متفرقة أهمها: لقمة العيش، حب الوطن، الرغبة في الاستقلالية والبحث عن النفوذ!» [2]. فسبب اغتراب (سيف هو البحث عن العمل وسبل العيش الكريم، لكن مع قدومه إلى المكسيك يصطدم بواقع آخر مرير يتمثل في صعوبة العمل الذي يقوم به، ما نتج عند تبلد في المشاعر والأحاسيس.

الغربة:

إن لفظة «الغربة تتمثل بالشعور الذي يمكن أن يشعر فيه الإنسان عندما يغادر مسقط رأسه وموطنه إلى مكان آخر، أو الشعور الذي يراود الفرد حين يضطر للانفصال أو النزوح عن مجتمعه»[3]. فمفهوم الغربة يتمثل في البعد والنزوح عن الوطن، ويتبعه في ذلك مجموعة من الأحاسيس السلبية التي يشعر بها المرء نتيجة هذا البعد.

---

[1]- الرواية، ص: 70.

* خطأ مطبعي، صوابه: لم، أن ما الاستفهامية إذا سبقت بحرف جر حذفت منها الألف.

[2]- الرواية، ص 139.

[3]- جدي فاطمة الزهراء: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر –الشعراء الرواد (أنموذجا)، مجلة النص، مج 08، ع 03، جامعة الجيلالي ليابس-سيدي بلعباس- الجزائر، 2021، ص 521.

يتجلى مفهوم الغربة في قول (سيف) إذ يقول: «عيد سعيد! وأي سعادة في الغربة؟ لا ذوي إحسان ولا ذوي قربى، الحي فوق القلب والميت تحت التربة»![1]. إن الاحتفال بمناسبة العيد في بلاد الغربة يختلف عن الاحتفال به في موطنك الأصلي بين أهلك وأصحابك.

ولقد وصف (عبد الجليل) صعوبة الحياة في المكسيك إذ يقول: «كانت الحياة قاسية جدا في المكسيك، كنا نعيش في جبل تحيط به جبال، كنا نعيش في البرد، في الخوف، في العزلة، في الغربة التي جعلت آباءنا يفقدون شوقهم لرؤيتنا، لقد اعتادوا غيابنا»[2]، فعبد الجليل يخبرنا عن مدى صعوبة التأقلم والعيش في تلك البيئة القاسية ما جعل آباءهم يفقدون الشوق إليهم.

ويواصل (عبد الجليل) كلامه فيقول: «لقد كنا نعيش في المكسيك كالإخوة، يجمعنا البعد والغربة عن أهلنا والبرد والخوف والمعاناة، لكن بعضنا لم يحتمل ذلك الضغط فصار يرى إخوته أعداء وأنهم ينوون الغدر به في أقرب فرصة»[3]، فصعوبة الحياة في المكسيك والعيش فيها جعلتهم كالإخوة فيما بينهم، إلا أن هناك فئة من الشباب قد تأثروا تأثرا سلبيا من هذا الوضع ما جعلهم يفقدون الثقة في زملائهم.

المطاردة والملاحقة:

يعد «التشريد والمطاردة والإبعاد كلها من دواعي الغربة إذا كانت من الأهل فما بالك إذا كانت من العدو، فلابد للمنفي أو المشرد أو المطارد أن ينجو بنفسه من الأخطار التي تلاحقه فيحس حينها بشدة الاغتراب»[4]، فالشخص المغترب لابد له من حماية نفسه من الأخطار التي تواجهه في بلاد الغربة.

---

[1]- الرواية: ص 71.

[2]- الرواية، ص 102.

[3]- الرواية، ص 115.

[4]- لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 88.

تتمثل المطاردة والملاحقة في الرواية من خلال قول (سيف): «نركب سيارات فارهة نركنها في أماكن مظلمة لنراقب أناسا يراقبوننا! نخرج كل ليلة ونحن ندرك أننا قد نموت لكننا لا نخشى الموت»[1]، فهنا دلالة واضحة عن الخطر الذي يلازمهم ويلاحقهم أثناء تأدية مهامهم من وراء تلك الجماعات الإرهابية المسلحة.

ويضيف (سيف) قائلا: «أنا لا أرى في الغابة إخضرارا وطبيعة وحياة.. أنا أرى مجرمين متخفين وراء الأشجار ينوون القتل والذبح والتنكيل»[2]، فنظرته للطبيعة تختلف عن نظرة الإنسان الطبيعي الذي يستمتع برؤية هذا الإبداع الإلهي، فهو دائما في حالة من الهلع والرعب والخوف، فتخلق المطاردة حالة من اللاستقرار التي توازي أو تساوي حالة الاغتراب.

الحزن:

هو تلك الحالة الشعورية السلبية التي تصيب الإنسان نتيجة تعرضه لمجموعة من الضغوطات الحياتية.

تتجلى ظاهرة الحزن في الرواية من خلال شخصية (سيف)، إذ يعبر عن حزنه بقوله: «الجو حار جدا يا ماروشكا! الحزن يكسوني والأهل نسوني والنمل يغزوني!» [3]، هنا يشكو صعوبة المناخ ومن عدم اطمئنان أهله عليه والسؤال عنه.

ويضيف (سيف) قائلا: «قلبي يؤلمني بشدة، أظنه يخفق ببطء شديد وكأنه يصارع جاهدا لضخ دم ثقيل في عروق ضيقة ممتدة في جسم سئم الحياة!»[4]، فهنا دلالة واضحة على شدة حزنه وإلى نظرته السوداوية تجاه الحياة.

كما يبدي (سيف) شكواه لصديقه (عبد الجليل) قائلا: «أنت لديك أم وأب وعائلة تنتظرك، أنا عائلتي لا تهتم بي! أنت لديك حبيبة تحبك وتنتظر قدومك، أنا حبيبتي

---

[1]- الرواية، ص 10.

[2]- الرواية، ص 122.

[3]- الرواية، ص 71.

[4]- الرواية، ص 73.

تركتني!» [1]، يبدي (سيف) حزنه الشديد من عائلته التي لم تسأل عليه، وعن حبيبته التي فارقته وتخلت عنه، مما جعل حزنه موازيا لحال الاغتراب التي هو عليها.

العنف:

هو ذلك السلوك اللفظي أو المادي الذي يصدر من شخص أو عدة أشخاص لإلحاق الضرر بالآخرين.

يتجلى العنف في الرواية من خلال لوم (ماروشكا) لسيف صاحب السلوكات العنيفة، إذ تقول: «كما أنك تعرف مواقفي جيدا اتجاه العنف من الليلة التي صرخت فيها علي أمام أولئك النسوة وجذبتني من ثيابي... لا تدع عملك يؤثر فيك يا سيف»[2]، فماروشكا تلومه على الفعل الذي صدر منه، وتنصحه بأن لا يجعل عمله المسلح يؤثر فيه.

وفي موضع آخر يقول (سيف): «أنت محقة يا ماروشكا، أنا عنيف... هل تريدين سماع شيء جميل بمناسبة عيد الفطر المبارك؟ لقد صرت أعنف مما تتصورين، وقد قمت بالاعتداء اليوم على "أندريك" بدل أن أتمنى له عيد فطر مجيد!» [3]، فالعنف واضح في هذه الرسالة من خلال إيذائه لصديقه.

كان (سيف) عنيفا بسبب اغترابه، وبعده عن حبيبته، وهو يدرك الوضع الذي آل إليه، مما أضاف اضطرابا على وضعه النفسي.

---

[1]- الرواية، ص 146.

[2]- الرواية، ص 09.

[3]- الرواية، ص 72.

2-1 المواضيع الفرعية للموضوع المهيمن

للموضوع المهيمن مجموعة من المواضيع الفرعية نذكرها كالآتي:

*** الوحدة:**

تعرف «الوحدة النفسية بأنها شعور الفرد بوجود فجوة نفسية تباعد بينه وبين الوسط المحيط به، وذلك لحدوث خلل في علاقاته الاجتماعية بصورة كمية أو كيفية، وعدم قدرته على الدخول في علاقات مشبعة ومرضية مع الآخرين، إضافة إلى شعوره بالإهمال، وعدم التقبل مما يؤدي به إلى الشعور بالوحدة والانزواء»[1]، فالوحدة هي شعور نفسي يصيب الإنسان نتيجة عدة عوامل خارجية.

يرد مفهوم الوحدة في هذه الرواية من خلال أقوال (عبد الجليل) إذ يقول: «كانت الحياة في المكسيك قاسية جدا، وكان أقسى شيء فيها هو الوحدة، أجل لقد كنا نشعر بالوحدة! الوحدة قاتلة جدا! الوحدة تجعلنا ضعفاء! الوحدة تجعلنا نتعلق بسرعة، تؤثر على شخصيتنا، تجعلنا غريبي الأطوار»[2]، فطبيعة العمل في المكسيك تستدعي الشعور بالوحدة، ذلك الشعور المميت الذي يقتل صاحبه حيا.

ويضيف (عبد الجليل) قائلا: «الوحدة تقتلنا أكثر من رصاص المكسيكيين، الوحدة تنحرف بنا عن الطريق السوي أكثر من المخدرات والأفلام الإباحية، الوحدة هي من صنعت المكسيك، هي من قتلت سيف بالتواطؤ مع ماروشكا، هي من جعلتني أكتب هاته الجمل الغريبة!» [3]، فالشعور بالوحدة يؤدي بالإنسان إلى القيام بتصرفات غريبة وغير مألوفة في شخصيته.

---

[1]- أحلام أحمد محمد الغامدي، الوحدة النفسية وعلاقتها بالأفكار اللاعقلانية لدى طالبات المرحلة الثانوية في مدينة الباحة، مجلة كلية التربية، ع110، جامعة المنصورة، إبريل 2020، ص 1488.

[2]- الرواية، ص 104.

[3]- الرواية، ص 104.

ويقول في موضع آخر، واصفا بذلك حالة صديقه (سيف) قائلا: «سيف كان وحيدا، كنت أرى ذلك فيه من خلال نظراته الشاردة، كنت أحسه دائما يلجأ إلى الوحدة وكأنها ملاذه الأخير، فحتى حينما يكون برفقتي أو برفقة بعض المكسيكيين تجده يحيط نفسه بهالة الانعزال وكأنه يخبرنا أنه يفضل أن يكون وحيدا، لأن الوحدة بالنسبة له هي التواجد مع أي شيء آخر ما عدا ماروشكا!» [1]، يصف (عبد الجليل) الحالة النفسية السلبية التي وصل إليها زميله (سيف) نتيجة ضغوطات عمله وابتعاد حبيبته عنه.

الخوف:

إن «الخوف هو رد فعل في جسم الإنسان، في مواجهة شيء يهدد سلامته، إنه رد فعل يحدث داخل الإنسان، عندما يحس أنه يوجد ما يهدد أمنه، ورد الفعل هذا يكون – عادة- حالة انفعالية يشعر بها الإنسان بمستويات مختلفة وبدرجات متعددة، حسب المؤثر»[2]، إذن فالخوف هو حالة طبيعية لدى الإنسان، إذ تصيب كل الفئات العمرية، يعد الخوف تيمة فرعية في الرواية.

يقول (سيف): «لقد سئمت من كل ليلة أحتضن فيها وسادتي كطفل صغير خائف وأغمض عيني وأنا أرجو الله أن لا يأتي الصباح»[3]، يصف (سيف) مدى حزنه وخوفه من تلك المخاطر التي يواجهها كل يوم بسبب طبيعة عمله المسلح، لأن الاغتراب ترك له حالة من الخوف والرعب.

البؤس:

البؤس «هو حالة الحزن والاكتئاب التي تصيب الإنسان نتيجة مواقف صعبة مرت بحياته، وهو حالة صعبة إذا وصل إليها شخص ما فإنها قد تؤدي به إلى الانتحار كي

---

[1]- الرواية، ص 105.

[2]- صموئيل حبيب، كتب سيكولوجية الخوف، دار الثقافة، القاهرة، ط01، (د.ت)، ص 09.

[3]- الرواية، ص 75.

يتخلص من هذا الإحساس الصعب الذي يعيشه»[1]، فالبؤس هو ذلك الشعور السلبي الذي قد يصيب الإنسان نتيجة تعرضه لمجموعة من المواقف كالخذلان والفراق وغيرهما.

نلمح شعور البؤس في الرواية من خلال شخصية (سيف) إذ يقول: «بؤسي يؤلم رئتي كثيرا ويجعلني أتنفس ببطء، وكأنها النهاية.. بؤسي يؤلم عضلاتي ويوهنها ويفلقدني تركيزي... وحياتي!» [2]، فهذا الشعور النفسي قد ترجم إلى آلام عضوية وجسدية في جسم المصاب، وهذا راجع إلى غربته المكانية.

ويقول أيضا: «مرحبا بالبؤس! وهل يوجد من هو أكثر بؤس منا يا عبد الجليل! أنا أموت كل يوم قطعة قطعة! أستهلك نفسي كشمعة عيد ميلاد لعينة! [...] لأن حبيبتي اختارت فجأة أن تتوقف عن حبي وتحب غيري!»[3]، يعبر (سيف) عن شدة بؤسه وضغطه النفسي لزميله في الكفاح، إذ يرجع ذلك إلى تخلي حبيبته عنه.

2- موضوع الحرب وصلته بالاغتراب:

الحرب هي عبارة عن «نضال مسلح بين فريقين متنازعين يستعمل فيها كل فريق جميع ما لديه من وسائل الدمار للدفاع عن مصالحه وحقوقه وأو لفرض إرادته على الغير»[4]، فالحرب إذن تقوم بين خصمين متنازعين لأجل تحقيق مجموعة من الأهداف، كاسترجاع حقوق الشعب المسلوبة منه، كالحق في الحرية والعيش الكريم وغيرهما من الحقوق.

الحرب كفعل يؤدي دون شك إلى حدوث تصدعات وتشوهات هائلة سواء داخل الأفراد الذين خاضوها أو في إطار الجماعة التي قدمت أبناءها وقودا هذه الحرب. وفي روايتيه البديعتين

---

[1]- البؤس (ما هو البؤس؟ الفرق بين اليأس والبؤس)، 14 مارس 2022، تاريخ الاطلاع (22-05-2023) https://daqaeq.net

[2]- الرواية، ص 79.

[3]- الرواية، ص 110.

[4]- محمد المجذوب: القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط 6، 2007، ص 843.

«العايقة بنت الزين» و «لحن الصباح» خير تمثيل وتجسيد لما أقول[1]، وهو ما حدث في الرواية، حيث كان سيف ومن معه يعيشون أزمات داخلية، يتغلب عليهم الخوف والشعور بالموت في كل لحظة.

يرد موضوع الحرب في الرواية من خلال شخصية (سيف) المغترب، والذي دفعته الظروف إلى الاغتراب عن بلده، والعمل في الكفاح المسلح في بلاد المكسيك، فيقول: «إن أسوأ ما قد يحصل لك يوما ما هو أن تقع في كمين! لأنك مهما كنت جاهزا للحرب فلن تتمكن من الاستعداد للرد!» [2]. يحدثنا (سيف) عن ذلك الكمين الذي ينصبه العدو في الحرب، فمهما كان استعداد الفرد وتدريبه لا بد وأن يقع فيه يوما، لذلك وجب الحرص على وضع خطط حربية وتنفيذية لتفادي الوقوع في هذا الكمين.

2-1- عائلته اللغوية: لموضوع الحرب عائلة لغوية متمثلة في الألفاظ الآتية (الحرب الأهلية، الهجوم، الرصاص، الفداء):

الحرب الأهلية:

الحرب الأهلية هي ذلك الصراع الذي ينشب بين طرفين متنازعين داخل البلد الواحد، إذ يقوم هذا الصراع على اسباب ودوافع متعددة، كالدافع السياسي أو العرقي وغيرهما من الأسباب.

يتجلى مفهوم الحرب الأهلية في هذه المدونة كالآتي: «الوضع سيء هنا يا حياتي، نحن نخوض حربا أهلية، في جبل فيه "نحن" و "هم"، نسمع كل يوم عن أطفال تموت برصاص وقنابل»[3].

---

[1]- https://blogs.icrc.org، تم الاطلاع في: 2022/02/01. تمثيلات الحرب: الذاكرة والتخييل والاستعادة في الرواية العربية الحديثة، مجلة الإنساني.

[2]- الرواية، ص 145.

[3]- الرواية، ص 18-19.

هذه العبارة تعود إلى بطل الرواية (سيف) إذ يخبر حبيبته بأحوال الحرب التي تقوم في ذلك الجبل الذي اعترب فيه (جبل المكسيك)، وما نتج عن هذه الحرب من خسائر بشرية متمثلة في أرواح الأبرياء.

الهجوم:

الهجوم عبارة عن «مناورة هجومية في المعارك، والذي تقوم فيه القوات المهاجمة بالهجوم بقوات كبيرة وبأقصى سرعة، الهدف من هذا التكتيك: توجيه ضربة مباشرة قوية ضد العدو، تهدف إلى كسر تشكيلاته وتحطيم معنويات جنوده»[1]. فالهجوم هو مواجهة قوية تهدف إلى تحطيم معنويات جيش العدو.

تظهر حالة الهجوم في الرواية كالتالي: « سيف! سيف! استيقظ ! نحن تتعرف لهجوم! صرخت بكل قوة! [...] أخبر المكسيكيين أننا لسنا نتعرض لهجوم، ليلزموا خنادقهم ويحترسوا أكثر! [...] إياك أن تبدي لرجالك مجددا أنك خائف، حتى ولو تعرضنا لهجوم حقيقي فعليك أن تتحكم بأعصابك»[2]. في هذه الفقرة يبدي (عبد الجليل) خوفه من التعرض للهجوم، فخوفه نتج عن ذلك الاغتراب الذي يعانيه، فقد اضطر للعمل المسلح في موطن غير موطنه الأصلي (الجزائر)، لذلك قام (سيف) بنصيحته واطمئنانه بأن كل شيء على ما يرام.

ثم يقوم (سيف) بإخبار الجنود ومناداتهم لكي يستعدوا للهجوم فيقول: «سنقوم اليوم بالقضاء على شرذمة من المجرمين الأوغاد، هم أشباه رجال نبذتهم المكسيك، نبذتهم عائلاتهم، نبذتهم الطبيعة! أشباه رجال ينوون إيذاء عائلاتنا»[3]، يبدي القائد استعداده للقضاء على المجرمين في البلاد التي اغترب فيها ألا وهي المكسيك.

---

[1]- هجوم مفاجئ، بدون تاريخ نشر، تاريخ الإطلاع 26-05-2023.Ar.m.wikipedia.org

[2]- الرواية، ص 105-106.

[3]- الرواية، ص 135-136.

الرصاص:

الرصاص هو عبارة عن مادة كيميائية تستعمل لأغراض عدة، كوضعه مثلا في سلاح ناري لإصابة العدو.

يتحدث (سيف) في رسالته لماروشكا: «أنا أنتظر رسالة منك قبل أن تأتيني رصاصة من بنقدية كارلوس!» [1]، "فالرسائل التي ترسلها (ماروشكا) لسيف كانت بالنسبة له عبارة عن مرهم أو دواء للتخفيف عنه من ألم ذلك الاغتراب، فهو ينتظر رسالة منها قبل أن يموت برصاصة أو طلقة من بندقية العدو في يوم ما.

وفي موضع آخر يقول (عبد الجليل): «كنت الوحيد الذي يعرف "الخطة الاستثنائية" كانت نهايتها كما أخبرني سيف: «حين تسمع صوت انفجار القنابل اليدوية، أخرج من مكان الكمين وطوق العدو مباشرة!» [2]. يتحدث (عبد الجليل) عن الخطة التي أخبره إياها (سيف) أثناء تعرضه للكمين، وهذا إن دل على أمر فإنه يدل على حرص (سيف) على حماية زميله في بلد الغربة. يضيف (عبد الجليل) قائلا: «نحن نرمي الرصاص في أعداد كبيرة ويتساقط العدو أمامك ولا تدري إن كانت رصاصتك هي التي قتلته أم رصاصة زميلك الذي على يسارك!»[3]. يوضح (عبد الجليل) حالة الحرب واشتدادها في بلاد الاغتراب (المكسيك).

الفداء:

هو التضحية بالنفس من أجل الدفاع عن الوطن.

يتجسد مفهوم الفداء في الرواية من خلال شخصية (عبد الجليل) إذ يقول لصاحبه: «سأذهب أنا يا سيف! سأفديكم بروحي! خذ رجالنا إلى بر الأمان! سأنزف من أجلكم حتى آخر قطرة من دمائي!» [4]، يبدي (عبد الجليل) استعداده للتضحية لأجل حماية أصحابه، ومن أجل قضية عادلة وهي القضاء على الإرهاب في بلاد الغربة.

---

[1]- الرواية، 43.

[2]- الرواية، ص 148.

[3]- الرواية، ص 149.

[4]- الرواية، ص 146.

2-2- مواضيعه الفرعية:

لموضوع الحرب مجموعة من المواضيع الفرعية نذكرها كالآتي: (الشجاعة، الوصية، الاستشهاد).

الشجاعة:

وهي البسالة، وتعني القوة والعزيمة والإصرار في مجابهة الأخطار التي تواجه الفرد.

- يصف (عبد الجليل) زميله (سيف) بمجموعة من الصفات والمتمثلة في الشجاعة والبطولة: «هكذا كان سيف، متشبع بتصرفات الشهامة والرجولة، متيم بصفات الاستماتة والفحولة ويرى كل تصرف لطيف أنوثة، وكل عمل قاس رجولة، هذا كان سيف»[1]، هنا دلالة واضحة على تحلي البطل بسمات الفحولة والقوة والشجاعة في البلاد الغربة، والتي ورثها عن أجداده الجزائريين في مواجهة العدو.

يحدث (سيف) زميله (عبد الجليل) بأهمية العمل قائلا: «أنا مكسيكي يا عبد الجليل! ومهنتي أن أموت وتقطع رجلي وأقضي أياما في البرد وتحت مطرقة المطر والخوف!»[2]. إذن فكل مغترب عن بلده وصل إلى المكسيك وعمل بها صار مكسيكيا –على حد قول سيف- لذلك فطبيعة عمله المسلح تقتضي التحلي بالصبر من جهة وبالإقدام والشجاعة من جهة أخرى.

الوصية:

بسبب الحرب، عاش (سيف) قلقا داخليا يتملكه فيه الشعور بقرب الأجل ومفارقة الأهل والأحبة.

---

[1]- الرواية، ص 102.

[2]- الرواية، ص 123.

يوصي (سيف) زميله (عبد الجليل) بمجموعة من الأقوال، فقوله الأول متمثل في إيصال هذه الكلمات إلى حبيبته (ماروشكا) إذ يقول: «إن إلتقيت يوما ما ماروشكا أخبرها أنني عشت وأنا أحبها ومت وأنا أعشقها، أخبرها أنني مت وأنا سعيد لأنها سعيدة، أنا أحب كريم كثيرا لأنه يجعلها سعيدة، ربما أغار منه قليلا لكنه يستحقها، فهو على الأقل يعطيها ما لم أتمكن من إعطائها يوما»[1]. فبطل الرواية هنا يعبر في وصيته عن حبه لماروشكا، فهو مغترب عنها لذلك يشعر بنوع من الاغتراب العاطفي، فحبيبته قد اختارت رجلا آخر (كريم) ومع ذلك فهو يعبر عن سعادته لأن هذا الرجل سيقوم بإسعادها بدلا منه.

أما قوله الثاني فيتمثل في وصيته لزميله بأن يقوم بحماية الجنود وتحمل جميع مشاكلهم فيقول: «هنالك الكثير لتفعله من بعدي يا عبد الجليل! هؤلاء الرجال بحاجة إلى رجل شهم ليعتني بهم، لقد تركوا عائلاتهم وذويهم وأتوا إلى المكسيك ليعملوا في هاته الظروف القاسية، إياك أن تظلم أحدهم فيشكوك إلى الله يا عبد الجليل وسيعاقبك بشدة لأنك ظلمت عبده»[2].

فهنا إشارة إلى حرص القائد على حماية الجنود وتحمل مشاكلهم، لأن الظروف قد دفعتهم إلى الاغتراب عن أوطانهم لكسب لقمة العيش.

كما نجد (أنريكة) الذي يعد أحد رجال (سيف) والذي قام بقتل نفسه بسبب اضطراباته النفسية، وقد ترك وصية أخيرة لوالديه مفادها: «أبي وأمي العزيزان، أنا آسف جدا لأنني لن أعود إليكما [...] أنا أتعرض للحقرة يا أمي، الجو بارد وهم يريدونني أن أموت، سأموت قبل أن يقتلوني»[3]. فطبيعة العمل هناك جعلته يعاني من اضطرابات نفسية حادة دفعته للانتحار ولأنهاء حياته شنقا.

---

[1]- الرواية، ص 147-148.

[2]- الرواية، ص 152.

[3]- الرواية، ص 113.

01- الاستشهاد:

هو التضحية بالنفس في سبيل تحرير الوطن من الأعداء المتربصين به.

02- الاستشهاد في الرواية: موضوع معالج بطريقة أخرى، إذ غالبا ما يأتي الشهيد في الرواية الجزائرية شهيد الثورة والغربة ضد المستعمر، إلا أن شهيد هذه الرواية مختلفة، وعلى الرغم من كونه جزائري، إلا أن استشهاده في بلاد أخرى، وفي سبيل وطن آخر غير بلده، وهو "المكسيك"، كذلك اختلف الدوافع فلم يكن ذلك حبا للوطن فحسب بل كان الاستشهاد أيضا من عواقب العمل الذي فرض عليه ولم يجد عنه بديلا.

يرد مفهوم الاستشهاد في الرواية من خلال موت البطل، إذ يتبعه زميله (عبد الجليل) كالآتي: «أنت أخلاق يا سيف! لا تغمض عينيك أرجوك ابق معي! [...] ستشهد سيف أمامي! أغمضت بيدي هاتين عينين الرجل الذي حمل طيلة حياته ألاما كثيرة لا تنتهي!» [1]. بيدي (عبد الجليل) حزنه الشديد على فراق صاحبه وزميله في الكفاح، ذلك الرجل الذي عانة من آلام كثيرة أهمها: الاغتراب عن الوطن وألم فراق محبوبته عنه.

ولقد صرخ (عبد الجليل) بأعلى صوته قائلا: «لقد استشهد قائدنا فداء لهذا الوطن المجيد! فداء للولايات المتحدة المكسيكية! علينا أن نفرح وندعو الله أن يمنينا بنهاية مشرفة كنهايته! لنحمل جميعا أسلحتنا في السماء، ونطلق مع بعض رصاصات تخليدا لهذا المقاتل الفذ!» [2]، يبدي (عبد الجليل) فخره بزميله الذي استشهد دفاعا عن الوطن (وطن الاغتراب) متمنيا أن يرزقه الله بنهاية مشرفة كهذه.

3- موضوع الحب وصلته بالاغتراب:

إن «الحب موضوع شائع وقديم قدم دراسة الانسان نفسه (...) يزود الفرد بطاقة عالية في وجوده المستقل، ويربطه بتيار من العلاقات الانفعالية مع شخص آخر، ويحقق

---

[1]- الرواية، ص 153-155.

[2]- الرواية، ص 155.

صيغة من الوجود يريدها، أو قد يرغب في الاحتفاظ بها»[1]، فالحب هو شعور جميل، إذ يعود تاريخه إلى العصور التاريخية القديمة.

وطالما كان الحب موضوعا بارزا في الكثير من الروايات سواء كانت رومانسية أو غير رومانسية ذات اتجاهات مختلفة.

أخذ موضوع الحب في الرواية دلالة سلبية مفادها الفراق أو ما يمكن تسميته بموت الحب، وذلك بسبب حضور الحرب في الرواية: «فليس من المعقول أن يكون الوضع السائد هو القتل و العنف، ويقدم الروائي شخصياته وهي في فرح وسرور، وهذا شيء لم تتفرد به الرواية الجزائرية وحسب، بل هي تقنية في جميع الروايات العالمية، ومن باب الإجادة والإتقان في العمل الأدبي»[2]، فالرواية لا بد أن تقوم على مجموع الثنائيات الضدية كالفرح والحزن، الحب والحرب ... الخ لإقامة الموازنة في العمل الأدبي.

نلمس شعور الحب في الرواية من خلال تعبير سيف لماروشكا.

«أنت جميلة جدا يا حياتي ولا أظن أن الجميع يراك كما أفعل (...) الشيء الطريف هو أنني أعلم أنك لست لي، ولن تكوني لي ... إنه شعور صعب يا ماروشكا أن نرى من نحب بعيدين عنا، يضعوننا دوما في المرتبة الثانية»[3]. فبطل الرواية يعاني من صراع داخلي أوله حبه لماروشكا وبعده عنها بسبب الغربة، أما الثاني فيتمثل في إحساسه الدائم بالاغتراب العاطفي إلى اختيار حبيبته رجلا آخر بدلا منه.

---

[1]- فارس كمال نظمي: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار أراس للطباعة والنشر، كردستان العراق، ط 1، 2007، ص 15.

[2]- سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دراسة نقدية، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط 1، 2010، ص: 77.

3- الرواية، ص 15-24.

وفي موضع آخر يحدث (سيف) زميله (عبد الجليل) قائلا: « لما *لا تفهم يا عبد الجليل! أنا أحبها! أحبها بعيوبها! بآثامها، بخطاياها! خانتني؟ ربما بسببي، ربما أنا المذنب، أنا من قصرت في حقها ولم أعاملها كما يجب، تبالي!» [1]، يظهر (سيف) حبه الشديد لماروشكا وفي نفس الوقت يلوم نفسه لأنه لم يستطع الحفاظ على هذه العلاقة بسبب الغربة، ما سبب له نوعا من الفراغ العاطفي.

3-1- عائلته اللغوية:

تقتصر العائلة اللغوية لموضوع الحب على مفردة واحدة هي "العشق".

العشق:

« كثيرا ما يرتبط موضوع العشق بالمرض أو الداء، لذلك قيل العشق دائ لا يملك دفعه وهو داء يصيب الروح، ويشتمل على الجسم بالمجاورة، كما ينال الروح الضعف من البطش، والوهن في المرء ينهكه، وداء العشق عموما في جميع البدن، بحسب منزلة القلب من أعضاء الجسم، وصعوبة دوائه يأتي من قبل اختلاق علله»[2]. فالعشق هو شعور صعب إذا تغلغل في نفس صاحبه، إذ يسبب نوعا من الوهن والضعف في جميع أعضاء الجسم.

لقد وظف الكاتب شعور العشق في روايته من خلال شخصية البطل، إذ يقول: «عشقتك والعشق صعب عسير والعاشق مظلوم أسير»[3].

يعبر (سيف) عن عشقه لمحبوبته (ماروشكا) فيمثل هذا الشعور نوعا من العذاب النفسي والعاطفي في نفسية البطل، والذي كان سببه الهجرة والبعد عن الحبيبة.

---

* خطأ مطبعي صوابه: لم، لأن ما الاستفهامية إذا سبقت بحرف جر حذفت منها الألف.

1-الرواية، ص 95.

2- إعداد المكتب العالمي للبحوث، الحب عند العرب دراسة أدبية تاريخية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، د ت، ص 24.

3- الرواية، ص 72.

3-2- مواضيعه الفرعية:

لموضوع الحب مواضيع فرعية تتمثل في الذكريات، العتاب.

الذكريات:

هي: «استرجاع ما حدث في الماضي إلى الحاضر، أي هو قدرة العقل على استعادة الخبرة السابقة، واستحضارها بالشكل الذي حدثت عليه، وربطها بزمانها ومكانها»[1]. فالذكريات عبارة عن طريقة أو تقنية يمكننا بها استرجاع الأحداث التي جرت في الماضي عن طريق العقل.

تقول ماروشكا: «اشتقت إليك يا متوحش! اشتقت إلى ذكرياتنا»[2]. تبدي (ماروشكا) اشتياقها إلى (سيف) وإلى الذكريات التي تجمعها في الماضي، وتناديه بالمتوحش لأن ألم الاغتراب قد ولد في نفسيته الكثيرة من المشاعر السلبية كالعنف والتشاؤم والنظرة السلبية تجاه الحياة.

يجيبها (سيف) بقوله: «الذكريات ... ربما هي كل شيء بقي حيا بيني وبينك يا ماروشكا»[3]. يظهر (سيف) هنا متأثرا، فما يجمعه بماروشكا سوى ذكريات الماضي، أما الحاضر فهي على علاقة مع رجل آخر بدلا عنه، وهذا ما زاد من حدة اغترابه.

العتاب:

هو عبارة عن لوم الشخص الآخر، وغالبا ما يكون العتاب إلا للمحبوب.

يعاتب بطل الرواية حبيبته قائلا: «ماروشكا! لقد مضى أسبوع ولم تردي على رسالتي؟ هل أنت بخير؟ أم أن كريم يمنعك من الحديث معي؟ لم لا تكونين مباشرة مثلي؟ لم لا تواجهنني قائلة: «أنا على علاقة بكريم فأرجوك يا سيف لا تحدثني ثانية! وحينها سأتألم

---

[1] -كامل محمد محمد عويضة: علم نف سالشخصية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996، ص 161.

[2] - الرواية، ص 29.

[3] - الرواية، ص 30.

أياما ثم تلتئم جراحي وأنساك»[1]. فسيف يلقي اللوم على محبوبته بسبب خيانتها له، ويريد جوابا عن سؤاله، فألم غربته عن وطنه يكفيه ولا يريد ألما آخر سببه الخيانة والفراق.

ويقول في موضع آخر: « هل تعيشين لحظات كهذه مع كريم؟ أراهن أنك لا تفعلين؟ لم لا تتركينه من أجلي أو تتركيني من أجله؟ أرجوك اختاري الآن»[2]. يقوم سيف بطرح مجموعة من الأسئلة على محبوبته ويريد الإجابة عنها، وكأنه يلومها ويعاتبها على عدم انتظارها له حتى يعود من بلد الغربة.

ثانيا: أثر الاغتراب على فنيات رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا":

أثر الاغتراب على مجموعة من العناصر السردية أبرزها: الفضاء والمفارقات الزمنية كالاسترجاع والاستباق والزمن النفسي، وأثر أيضا على العتبات المتمثلة في العنوان والغلاف.

1- الفضاء وتجليات الاغتراب:

يعد الفضاء أحد مكونات البنية السردية، وقد لاقى اهتماما واسعا من قبل الدارسين، فهو يمثل الإطار المكاني الذي يستضيف أبطال الرواية أو القصة بشكل عام، ويعرف بأنه ذلك «الحيز المكاني في الرواية أو الحكي عامة، ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي (LèEXPACE GEOGRAPHIQUE)، فالروائي مثلا –في نظر البعض- «يقدم دائما حدا أدنى من الإشارات "الجغرافية" التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن»[3]. فالفضاء الجغرافي يستخدمه الكاتب لتقديم إشارات جغرافية مثل: اسماء المدن والبلدان لتوفير إطار مكاني لأحداث الرواية، مما يساهم في تشكيل تصور القارئ للمكان وتنشيط خياله.

---

[1]- الرواية، ص 38.

[2]- الرواية، ص 39-40.

[3]- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991، ص 53.

1-1-المكسيك والجزائر:

غلب على الرواية حضور الفضاءات المنفتحة، ويعرف الفضاء المنفتح بأنه: «حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاء رحبا، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق»[1]. فالفضاء هو ذلك الإطار أو الحيز المكاني الذي يتأتي في العالم الخارجي بعيدا عن حدود الجدران.

أ- المكسيك والجزائر:

تعد المكسيك البلاد التي اغترب فيها بطل الرواية، والذي دفعته الظروف إلى العمل في هذه البلاد، فكان يعبر عن حالته النفسية المتدهورة إلى محبوبته ماروشكا عن طريق إرسال مجموعة من الرسائل عبر الماسنجر، ومن بين هذه الرسائل نجد: «لقد افترشت حقل السنابل يا حبيبتي وأنا أمحل مختلف الأحاسيس المتضادة داخل أضلعي ما أجمل السنابل! ما أوحش المكان! سأفجر القنابل! سأحرق الجنان! اتصلي يا ماروشكا قبل فوات الأوان»[2]، فعمله متمثل في حماية حقول السنابل من اعتداءات الإرهابيين والمجرمين وتقديمهم إلى العدالة، وبحكم طبيعة عمله المسلح في بلد الغربة قد ولد في نفسيته الكثير من المشاعر السلبية كالحزن والبؤس والخوف، فرسائل حبيبته كانت بمثابة المرهم الذي يخفف عنه ألم ذلك الاغتراب».

ويضيف سيف قائلا: «أه لو ترين حالة المكسيكيين يا عزيزتي لقد دمروا شبابهم وهم ينوون تدمير شبابي! يريدونني أن أكون مثلهم بشعر طويل وبشرة سمراء ووشوم عفنة! إنهم يكرهون اختلافي ويعتبرونه اعتراضا وما ردة فعلي أنا؟ أداريهم ... أداريهم وألعب لعبتهم لأنني أعلم أن المختلف في المكسيك قد يموت في حادث سيارة بقدر قادر» [3]، فعلاقته

---

[1]- أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفس ثائرة لعبد الله ركيبي، ص 30.

[2]- الرواية، ص 43.

[3]- الرواية، ص 60-61.

بالأشخاص ذلك البلد تختلف تماما عن علاقته بأهاليه في موطنه الأم، فلا بد من أخذ الحيطة والحذر في التعامل معهم، فالحياة هناك تتطلب الكثير من الصبر والتحمل.

إن وجود البطل في بلاد الاغتراب قد سبب له أزمات نفسية حادة، بالإضافة إلى طبيعة عمله القاسي، جعله يتمنى الموت لكي يتخلص من ألمه، يقول: «قلبي يؤلمني بشدة أظنه يخفق ببطء شديد وكأنه يصارع جاهدا لضخ دم ثقيل في عروق ضيقة ممتدة في جسم سئم الحياة! (...) أنا أعاني من الوحدة، من الظلم، من القهر، أنا أرغب بالموت يا صديقي ... أنا أرغب بالموت»![1].

ومثاله في ذلك زميله في الكفاح المسلح الذي يدعى إجناسيو «فكان أحد الرجال الذين عانوا من اضطرابات نفسية في المكسيك، لم أكن حاضرا يوم وفاته لكنني سمعت أنه سرق سلاح أحد رفاقه وأطلق النار على ثلاثة من زملائه فأرادهم قتلي! وحين حاول أحد الرجال أن ينتزع منه السلاح بالقوة، أطلق النار خطأ على نفسه فسقط قتيلا على الفور»[2]. فرؤيته لزملائه مختلفة إذ ينظر إليهم وكأنهم أعداؤه يريدون قتله، وهذا راجع إلى آلامه النفسية الحادة، فالمكسيك تظل في نظرهم وفي نظر كل شخص مغترب بلد الاغتراب والحرب والموت.

إن شعور البطل «بالعجز والعزلة الاجتماعية واللامعنى واللامعيارية، أحد العوامل الأساسية المسؤولة عن الإقدام على تعاطي المخدرات أو المواد المؤثرة في الأعصاب»[3]. وهذا ما نجده في قول (سيف) المغترب: « التقيت يومها في محطة البنزين شابا رائعا يدعى "فيرناندو" أعطاني حبة ملونة بالأصفر والأبيض مكتوب عليها الرقم 300 خففت ألمي كثيرا، وقد أعطاني الأولى مجانا ومنذ ذلك الوقت وأنا أشتريها عنده بـ 80 بيزو مكسيكي أي

---

[1]- الرواية، ص 73-112.

[2]- الرواية، ص 114-115.

[3]- عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 158.

ما يعادل 500 دينار جزائري للحبة الواحدة»[1]. فألمه الاغترابي قد دفعه لتعاطي الكحول والمخدرات، وكان كثير الشكوى بخصوص البيئة القاسية هناك فيقول: «لقد كان الجميع في المكسيك يشتكي من قساوتها! من قساوتي!» [2]، فطبيعة المكان هناك جعلت منه شخصا عنيفا.

وفي المقابل نجد "الجزائر" بلد الأمن والاستقرار، ومثال ذلك قول ماروشكا: «أنا أطلب منك رسائلا مطمئنة وأنت تحدثني عن الموت توقف أرجوك! دعك من تلك الحرب وعد إلينا، بلاد آمنة، تعالى هنا وعش بأمان!»[3]. فماروشكا تدعوه بالعودة إلى بلاده الجزائر، يجيبها سيف قائلا: «لقد اشتقت إلى غربها وشمالها وجنوبها! حينما أعود يا ماروشكتي سنقوم برحلة معا! ما رأيك؟ سآخذك إلى ولاية أم البواقي وسنأكل مثلجات عن السيواني»[4]. يعبر (سيف) عن اشتياقه الشديد لوطنه الأم، وتخبر ماروشكا سيف بأنها سعيدة بالذهاب معه إلى أم البواقي فور عوته من المكسيك: ستأخذني إلى أم البواقي، أنا سعيدة جدا بذلك يا عزيزي سيف!

ويذكرها سيف بماضيه الذي عاشه معها في الجزائر: «هل تذكرين يوم كنا معا في الجزائر العاصمة نتجاذب أطراف الحديث داخل السيارة وقمت (...) بتشغيلك لأغاني الراي»[5]. وتحدثه ماروشكا عن صيام الشهر الفضيل في الجزائر: أنا صائمة يا سيف، لا أدري إن كان شهر رمضان معروفا في المكسيك، لكن آمل أن تكون صائما أيضا، دعك منهم، لا تتأثر بهم، فنحن المسلمون نحيي شعائرنا الدينية في الجزائر أو في القطب الجنوبي على حد سواء! من خلال هذا القول تدعوه ماروشكا بعدم التأثر بعادات وتقاليد المكسيكيين، فنحن المسلمون نحيي شعائرنا الدينية في البلاد بكل فخر واعتزاز.

---

[1]- الرواية، ص 84.

[2]- الرواية، ص 117.

[3]- الرواية، ص 19.

[4]- الرواية، ص 50.

[5]- الرواية، ص 49.

يصف (عبد الجليل) جمال بلاد "الجزائر" قائلا: « وصلت إلى مطار هواري بومدين الدولي، أخذت أتمشى في الرواق وأنا أشتم رائحة البلاد، كنت كقروي في المدينة! أخذت أشاهد تلك الأضواء الجميلة وتلك الأرضية النظيفة والمطاعم الفاخرة ومحلات صرف العملة، كان جميع الرجال وسيمين والفتيات جميلات»[1]. ينظر عبد الجليل إلى الجزائر نظرة حب وإعجاب ويمدحها ويثني على رائحتها، لأن ذلك راجع لحالته النفسية المتأزمة القادمة من بلد الاغتراب والموت.

ونشير في الأخير إلى فكرة الموازنة بين المكسيك والجزائر من حيث الدلالات فالبلد الأول يمثل بلد الاغتراب والموت، أما الثاني فيمثل بلد الأمن والحياة الاجتماعية العادية لأنه البلد الأم.

ب- الغابات والجبال والحقول:

تمثل الغابات والجبال والحقول الفضاءات المنفتحة التي تتنقل بينها الشخصيات في الرواية، فكان الحقل فضاء يؤجج مشاعر الحب مثلما نجده في قول (سيف): «أسبوع في حقل سنابل يا ماروشكا القلب ... تأكدت فيه مجددا إنني أحبك حبا لا متناه –حبا يكفر بالأوامر والنواهي- حبا يجعلني أصرخ للسماء: كم أحبها يا إلاهي»[2]. فسيف يعبر عن مدى حبه لماروشكا في مكان عمله ألا وهو حقل السنابل، تجيبه (ماروشكا) قائلة: أنت لست مجبرا أن تقضي أيامك في حقل سنابل تحت نيران مكسيكيين أوغاد! فكأنها تدعوه للعدوة إلى وطنه؛ فهو ليس مجبرا للعمل هناك.

يصف (عبد الجليل) جبال سييرا الموجودة في المكسيك قائلا: «لازلت أتذكر يوم حاصرنا أحد المجرمين في إحدى غابات جبال "سييرا"، قمنا بتطويقه وتكثيف النيران عليه إلى أن أخذ في الصراخ "الأمان، الأمان!"، أنا أسلم نفسي!» [3]، يتذكر يوم إمساكه

---

[1]- الرواية، ص 157.

[2]- الرواية، ص 44.

[3]- الرواية، ص 100.

بالمجرمين في جبال سييرا المكسيكية، وفي قول آخر: «لا يوجد تغطية في جبال سييرا، اي أن هواتفنا كانت عبارة عن قطع بلاستيكية نضعها في حقائبنا أملا في أن نجد تغطية في إحدى الأماكن التي تبعد عنا أكثر من عشرين كيلومترا»[1]. يشير من خلال هذا القول إلى انقطاع التغطية والشبكة في هذه الجبال.

ويضيف (عبد الجليل) واصفا حاله زميله (سيف): «رجع سيف إلى مكانه وجلس وحيدا، تبا له! حتى في غابات "المكسيك" يفضل أن يجلس وحيد! (...) رأيته ينظر إلى الجبال الباردة والوديان المظلمة والغابات المتوحشة وفي يده قلم وورقة وكأنه يدون أشياء»[2]. فزميله (سيف) يمثل ذلك الشخص المغترب عن أهله ووطنه، فهو دائم العزلة لا يريد الاختلاط بأحد إلا للضرورة.

فزادت الغابات والجبال من حدة اغتراب الشخصية الرئيسية للرواية، أو بعبارة أخرى جاءت منسجمة مع وضعه وحاله، مما يعني تأثرها في الرواية بموضوع الاغتراب، وحملها دلالات سلبية: البرد، الظلام، الوحشة ...

وفي المقابل نجد ولايات الجزائر التي تتميز بالأمن والاستقرار، وهذا ما نراه في الرواية: « اشتقت إلى ذلك اليوم الذي كنا فيه في مدينة بومرداس، وكانت الزمحة شديدة، وقلت لك "قليبي" فأصبحت عيناك كفنجاني قهوة وصرخت قائلا: "ماذا ناديتني لتوك!" [...] اشتقت إلى ذلك اليوم الذي كنا فيه معا في زرالدة وكنا نبحث عن مكان ما فطلبت مني أن أتوقف لتسأل شخصا ما، تبدي ماروشكا اشتياقها إلى سيف، بدليل تلك الأماكن الآمنة التي كانوا يقضون فيها أجمل أيامهم.

[1]- الرواية، ص 102-103.

[2]- الرواية، ص 107.

2-الزمن وتجليات الاغتراب: أثر الاغتراب على العنصر السردي "الزمن الموجودة في الرواية"

2-1- المفارقات الزمنية:

أ- الاسترجاع:

تعرفه (سيزا قاسم) بأنه: «يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها»[1].

فالاسترجاع هو عبارة عن تذكر للأحداث التي وقعت في الماضي.

اعتمدت هذه الرواية على تقنية الاسترجاع بكثرة لأنها تعكس مدى القلق والتعب الذي تعيشه الشخصية المغتربة، ومن أهم الاسترجاعات نذكرها كالآتي: «لقد سألتني أمي عنك يوما، فأخذت أصف لها كل أنت "مذهلة" ولا بد أنني نسيت نفسي وأنا أتحدث عنك بشغف، ولم أستدرك الموقف إلا بعد أن لمحت أخواتي تتغامزن علي بخبث»![2]، فالكاتب يحاول سرد حدث وقع في الماضي، حيث نجده يسترجع ذكرى حديثة عن ماروشكا، ومن المقاطع التي ورد فيها الاسترجاع نجد: «لقد ذهبت اليوم إلى عرس صديقتي نبيلة، لو تراها كم كانت جميلة بالفستان الأبيض! لقد أردت أن ألتقط صورة به لكنه لم يكن بمقاسي»[3]، في هذا المقطع نجد ماروشكا تستذكر أو تسترجع ذهابها إلى عرس صديقتها، ومن المقاطع الاسترجاعية نجد أيضا: «أنا مثلا قمت بترك صديقتي وحيدة في الجامعة ولم آخذ معي في سيارتي لأنني كنت منزعجة منها، فأتى صديقها الذي كانت معه في خلاف وقام بضربها ضربا مبرحا أدخلها المستشفى [...] لكنني قررت أن لا ألوم نفسي مجددا»[4].

---

[1]- سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د ط، 2004، ص 58.

[2]- الرواية، ص 8.

[3]- الرواية، ص 11-12.

[4]- الرواية، ص 16-17.

في هذا المقطع نجد ماروشكا تسترجع ذكرى تركها لصديقتها، ومن المقاطع ذات الطابع الاسترجاعي نجد أيضا قول ماروشكا: «هل تذكر حينما كنت أقوم بعمل سيء فتخبرني بأنني أبستش؟ حسنا إذن أنت تبستش الآن، فكفاك تبستيشا»![1]، فنجدها هنا تستذكر قول سيف كلما قامت بعمل سيء، وفي مقطع سردي آخر نجد سيف وهو يتذكر حساسيته من الفراولة: «لقد ذهبت إلى السوق قبل قليل لأشتري بعض الفاكهة، فغازلتني حبات فراولة أيما غزل وتغنجبت أمامي أيما تغنج! كنت سأشتري بعضا منها، لكنني تذكرت أنني أعاني حساسية منها فعدلت عن ذلك، وبعد قليل ظهرت تلك البقع الحمراء في جلدي!» [2]. ويضيف سيف قائلا: «أتذكر يوم كان المطر يتساقط غزيرا وقمت بإقناعي بالخروج معك رغم أنك تعلمين أنني أكره البلل!» [3]، فالبطل يتذكر حدثا ماضيا متمثلا في خروجه مع محبوبته أثناء تساقط المطر، ويقول أيضا: «أتذكر أيضا يوم ركبنا في "التيليفيريك" وسألتك إن كنت تخشين المرتفعات فأجبتي بغطرستك المعتادة أنك لا تخشين شيئا»[4]، فالبطل يتذكر يوم ركوبه في المرتفعات مع حبيبته ماروشكا أيام تواجده في بلده الأم "الجزائر" والتي تنعم بالأمن والاستقرار.

فالاسترجاع في الرواية دليل على أن هذه الشخصية –شخصية سيف بالتحديد- تعيش حالة من الاغتراب، لأنها تعيش في الماضي أكثر من الحاضر، ما جعلها تسترجع وتتذكر، فكانت تقنية الاسترجاع حاضرة بقوة.

ب- الاستباق:

ترى (سيزا قاسم) أن الاستباق عبارة عن «توقعات أو تخطيط من الشخصية لما سيقع أو ستفعله في ضوء المواقف التي تجتازها»[5].

---

[1]- الرواية، ص 17.

[2]- الرواية، ص 23.

[3]- الرواية، ص 65.

[4]- الرواية، ص 66.

[5]-سيزا قاسم: بناء الرواية، ص 65.

فالاستباق عبارة عن توقع أحداث لاحقة في المستقبل القريب أو البعيد استنادا على المواقف التي تعيشها في الحاضر.

وهذا ما نجده في الرواية من خلال شخصية (سيف): «تخيلي معي يا ماروشكا أنك تستيقظين باكرا يوم الخميس وأنت تحسين بانقباض في قلبك وضيق في صدرك [...] والصغير يبكي ويطلب الرحمة! تخيلي يا حبيبتي أن ذلك الصغير يلجأ إليك والدمع يغمره [...] وأنت جلاده ... في عالمكم الحقير!» [1]. نجد سيف هنا قد استبق الأحداث، ليجعل ماروشكا تدرك سوء الوضع، ويقول سيف أيضا: «فإن اصابتني الرصاصات الغادرة في جانبي الأيمن وسقطت صريعا، فستكونين بجانبي تضمدين جراحي، وإن مت فسوف تكونين هناك لتنعيني»[2].

نجده يستبق حدثا يتمثل في إصابته برصاصات غادرت في ميدان المعركة، متأملا بأن حبيبته ستأتي وتضمد جراحه، فجاء الاستباق متأثرا بالاغتراب، مشحونا بالرؤية السودانية التشاؤمية.

ويضيف (سيف) قائلا: «هل تعلمين أنك أول فتاة أتخيلها زوجة؟ بمعنى كلمة زوجة ... أي تلك المرأة التي أعطيها لقبي»[3]، فالبطل يستبق حدثا يتمثل في زواجه من محبوبته، ومن الاستباقات أيضا نجد قول (ماروشكا): «أنت ماض رائع يا صديقي، وحاضر مذهل ... لكلنك مستقبل غامض»[4]. فماروشكا تستبق حدثا يتمثل في علاقتها العاطفية مع سيف، إذ ترى بأن مستقبلهما غامض وهذا راجع إلى الاغتراب الذي يعانيه البطل بالإضافة إلى طبيعة عمله المسلح هناك.

---

[1] - الرواية، ص 14-15.

[2] - الرواية، ص 19.

[3] - الرواية، ص 24.

[4] - الرواية، ص 33.

2-2- الزمن النفسي:

الزمن النفسي هو ذلك «الزمن الذي يرتبط بتقنيات هذا النوع من روايات تيار الوعي واللاوعي، المنهمر عبر فيضان الذاكرة والتداعي الحر والمونولوج الداخلي والخيال والحلم»[1]. فالزمن النفسي يختلف تماما عن الزمن الطبيعي العادي، إذ يرتبط ارتباطا وثيقا بالشخصية فنجدها غالبا في حالة من التأمل والتذكر والحلم والهذيان.

نلاحظ حضور الزمن النفسي في هذه الرواية، إذ نجد: «لقد سألتني أمي عنك يوما، فأخذت أصف لها كم أنت مذهلة ولا بد أنني نسيت نفسي، وأنا أتحدث عنك بشغف»[2]، فبطل الرواية قد وقع في حالة من السهو أثناء حديثه لأمه عن مواصفات محبوبته ماروشكا، ويمكن تقدير الزمن النفسي هنا أنه قصير المدة بالنسبة للشخصية، فلغبطتها لم تشعر بالوقت يمر.

يقول بطل الرواية: «لقد تأملت الحياة كثيرا هذا الأسبوع يا عزيزتي ... سرحت في الخيال ... غرقت في الذكريات .... توقفت عند محطات حياتي محطة محطة! أدركت من خلالها أن حالة اكتئابي هذه قد تكون حالة مرضية لا علاج لها ومرضا مزمنا لا شفاء منه!» [3]، فالبطل هنا بعيد عن الواقع في حالة من التأمل والتذكر لمحطات حياته، مما جعله يدرك أن مرضه النفسي المزمن الناتج عن الاغتراب لا علاج له.

ويضيف بطل الرواية قائلا: «أنا أقوم أحيانا بترديد لفظة "أقتل نفسك بهدوء، أنت تحتاج لأن تقتل نفسك الآن بهدوء" ولكن ليس لي أية نية في فعل ذلك أنا فقط أرتاح حينما أقول ذلك، الوحش داخلي يرتاح حينما يسمع ذلك»[4].

---

[1]- آمنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2015، ص 99.

[2]- الرواية، ص 8.

[3]- الرواية، ص 43.

[4]- الرواية، ص 72.

فالبطل يعيش حالة من الهذيان، وهذا راجع إلى حالته النفسية المزرية، وإلى اغترابه المؤدي إلى فقدان الشعور بلذة الحاضر.

3- العتبات وتجليات الاغتراب:

أثر الاغتراب على العتبات الموجودة في الرواية والمتمثلة في العنوان والغلاف.

3-1- العنوان:

إن «العنوان هو العتبة المكثفة لموضوع النص في أوله، وفاتحة نصية يدخل القارئ في مسالك الذاكرة، وممالك التخيل، ويعمل على توجيه القارئ مباشرة ليبين احتمالات قرائية ممكنة، سيؤكدها النص، أو يفندها بعد ذلك»[1]. فالعنوان يعبر عن قصدية المؤلف، إذ يرتبط ارتباطا وثيقا بمضمون النص.

عنوان الرواية هو "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"!، يبدو من الوهلة الأولى شكوى ونداء من (الذات) المتمثل في الرجل / الجندي عند ربطنا بين صورة الغلاف والعنوان، يشكو إلى ماروشكا من الارهاق، وما يحمله الإرهاق من دلالات تفيد التعب والذي يكون ماديا بتعب الجسد مثلا، ومعنويا بتعب الروح والنفس، ولما كانت الشكوى موجهة من الرجل إلى المرأة فهي على الأرجح معنوية، ينتظر من خلالها الدعم النفسي والعاطفي، وحضور لفظة المكسيك يدل على أن الشكوى مرسلة من بلاد الغربة إلى بلاد الوطن حيث توجد ماروشكا.

يحمل العنوان تساؤلا مفاده: ما سبب تواجده في المكسيك؟ غير أن صورة الجندي قد تجيب عن ذلك، وتبين أن الوجود هناك في المكسيك كان بسبب العمل، وتتبعث الحيرة لدى المتلقي عن دواعي العمل هناك كجندي بالتحديد.

[1] - ماجد قائد قاسم مرشد: جمالية التلقي في الكتابة الشعرية العربية من العتبات إلى النص، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، المملكة المغربية، ط 1، 2018، ص: 83.

كان العنوان جملة مشحونة بالدلالات، التي تكون في حقيقتها أجوبة محتملة عن تساؤلات منبعثة من ذات المتلقي، إذ هو (أي العنوان) يحيل ولا يصرح، مما يثير المتلقي ويستفزه.

يبدو العنوان أيضا مرآة لحالة عدم الاستراحة، وعدم العيش الهنيء في بلد المكسيك، ما جعلتها تبدو بلدا لعدم الاستقرار النفسي، وبلد للغربة والاغتراب والإرهاق النفسي.

كذلك أضاف النداء (يا ماروشكا) صرخة وألما ومعاناة، ورغبة في النجدة والخلاص من الوضع، الذي يكون اغترابا على أقصى تقدير، من خلال الإلمام بين دلالة الإرهاق ودلالة بلد الآخر.

3-2- الغلاف:

يقول ماجد قائد قاسم مرشد: « أضحى التنافس حول جمالية الغلاف من حيث الألوان والتصاميم ونوعية الخط أمرا، مهما لما يمثله من قيمة عتباتية في تلقي الكتاب، وتحليل وتأويل نصوصه، فالغلاف يشد القارئ، ويثير انتباهه، ويعبر عن قصدية المؤلف والناشر في مساعدة المتلقي لفك شفرات النص»[1]، فالغلاف يمثل الواجهة الخارجية للنص الأدبي.

غلاف رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لوحة تشكيلية تتجاذب فيها العديد من العوامل التصويرية والتعبيرية، تصنعها الألوان والشخصيات، وصراع الأضواء والتجسيمات التصويرية.

يعد العنوان جزءا من مكونات الغلاف، إلا أننا أفردناه مستقلا نظرا لقيمته كعتبة مهمة في بعث الدلالات، وقد توسط الغلاف بحجم كبير لأنه الدال الأكبر على الرواية، وقد أخذ اللون الأخضر ليعبر عن لون الزي العسكري، والذي ينسجم مع دلالة لفظة (المكسيك)

[1] - ماجد قائد قاسم مرشد،: جمالية التلقي في الكتابة الشعرية العربية، ص 82.

التي هي مكان عمل الشخصية الرئيسة (الجندي) وينسجم أيضا مع صورة الجندي الموضوعة على الغلاف.

تبرز على يمين واجهة الغلاف صورة جندي جالس، لا يدو منه سوى جزءه السفلي، حيث يضع يديه متشابكتين على فخذيه، وهما متشابكتان ممتدتان إلى الأمام أبعد من الركبتين، يرتدي الجندي زيا عسكريا ذا لون أخضر، وهذا الزي هو الذي جعلنا ندرك أنه جندي.

يبدو الجندي من هذا الوصف مهموما، وتبدو عليه حالة القلق لاسيما من خلال يديه المتشابكتين توحيان بعدم الاطمئنان وعدم الارتياح.

تعاد صورة الجندي على يسار الغلاف، وهنا يبرز جزئه العلوي بما يحمله رأسه من قبعة عسكرية، وعلى ظهره حقيبة وأنه يمشي ورأسه ينظر إلى الأرض، مديرا ظهره إلى متلقي الغلاف، ومما تشير إليه نظرته إلى الأرض هو التفكير والانشغال في أمر ما ... كل هذه الدلالات المتوصل إليها تعكس حالة الاغتراب التي يعيشها في بلاد الغربة (المكسيك).

تعاد صورته للمرة الثالثة ولكن من بعيد وهو جالس، يضع حجره عتادا لا يتضح لناظر حقيقته، إلا أنه على الأرجح حقيبة الظهر العسكرية بين كل ذلك، وكخلفية للغلاف أوراق شجرة أو أشجار، ترمز للغابات والجبال وأماكن الحروف، فيكون اختيارها علامة دالة على الحيز المكاني الذي يقضي فيه الجندي أغلب أوقاته، وكأن المكسيك يتلخص حضورها في تلك الغابات.

على يمين الغلاف أيضا صورة مكتملة لامرأة تمشي وهي تدير ظهرها إلى المتلقي، ربما هو الماضي الذي يشغلها، وما فيه من ذكريات، إلا أن دمج صورتها مع صورة الجندي يؤدي إلى القول بوجود علاقة بين مشيتها وهذا الجندي الجالس، قد تكون هذه العلاقة متمثلة في الفراق والترك والوداع، أو هي السير نحو حياة جديدة خلفها حبيب سابق، وتزداد هذه الدلالة قوة بربط الصور مع بعضها البعض.

تبدو الغربة وكذلك الاغتراب جليان في ألوان الغلاف، من خلال طغيان الألوان الباهتة والضبابية المكتسحة على الفضاء العام للغلاف.

صورة غلاف رواية أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لديراو داتسيدا

خلاصة الفصل:

تجسد موضوع "الاغتراب" في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" بكل أنواعه المكانية والنفسية والعاطفية، فقد تفرع عن هذا الموضوع المهيمن موضوعان فرعيان بارزين هما: "الحب " و "الحرب"، فكان الفضاء المكاني خير تجسيد لهذين الموضوعين، كما نجد حضور تقنية الاسترجاع حاضرة بقوة في هذه المدونة، إذ تعبر عن الحالة النفسية المتدهورة للشخصية المغتربة، فهي غالبا ما تعود إلى العيش في ماضيها الجميل لأن حاضرها يحتوي على الكثير من المشاكل الحياتية، بالإضافة إلى حضور تقنية الاستباق وكذلك الزمن النفسي، كما لا ننسى الدور المميز الذي لعبته العتبات النصية (العنوان، الغلاف) في إبراز المضمون الدلالي.

الخاتمة

الخاتمة:

- دل مصطلح الاغتراب في المعاجم العربية على مفهوم الغربة المكانية، والتي تعني البعد عن الوطن، بالإضافة إلى زواج الرجل إلى غير أقاربه.

- لموضوع الاغتراب جذور فكرية موجودة في الدراسات الغربية والعربية فجذوره عند الغربيين تعود إلى الديانة المسيحية إذ تعتقد أن أول اغتراب وقع في البشرية يعود إلى نزول آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض، أما في الدراسات العربية فيعود إلى معاناة الشعراء الجاهليين من التمييز العنصري أو العرقي.

- لقد قسم جمهور فقهاء الإسلام هذه الظاهرة إلى ثلاثة أقسام، الأول يتمثل في اغتراب الأوطان والثاني متمثل في اغتراب الحال أما الثالث فيتمثل في اغتراب الهمة.

- يعد الفيلسوف الغربي (فريدريش هيغل) أول من وظف مصطلح الاغتراب في فلسفته من خلال كتابه الشهير "فنومينولوجيا الروح"، إذ يرى أن هذا المصطلح يحمل في طياته معنيين مختلفين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، ويرى أن القضاء على ظاهرة الاغتراب يتمثل في المساواة في الحقوق بين أصحاب المصالح الخاصة والعامة.

- ربط الفيلسوف (كارل ماركس) ظاهرة الاغتراب بالوضع الاقتصادي، والذي يتمثل في شعور العامل بالاغتراب عن عمله في حد ذاته، فهو مسير من طرف النظام الرأسمالي، بالإضافة إلى اغترابه عن المنتوج الذي يصطنعه إذ تعود فائدة الأرباح إلى النظام السلطوي الذي يتحكم بالبلاد.

- يعد الفيلسوف (أبو حيان التوحيدي) من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين عانوا من ظاهرة الاغتراب خصوصا من جانبها المكاني والاجتماعي، إذ يمثل أبو حيان حالة المثقف المغترب والمنبوذ من طرف الطبقة الحاكمة.

- لقد كان لظاهرة الاغتراب حضورها البارز والقوي في الأعمال الأدبية خصوصا جنس الرواية، فكثيرا ما تعبر عن حالة الاغتراب المكاني أو الاجتماعي أو الفكري.

- اشتق لفظ "الموضوعاتية" من كلمة موضوع، تحت مادة وضع في المعاجم العربية.

- للموضوعاتية جذور فكرية متمثلة في الفلسفة الظاهراتية والوجودية.

- لقد ظهر المنهج الموضوعاتي خلال ستينات القرن الماضي في بيئة فرنسية نقدية.

- لقد اهتم الناقد (جون بول ويبر) بمفهوم الجذر، إذ يفسر هذا المفهوم من خلال العودة إلى مرحلة الطفولة.

- ظهر المنهج الموضوعاتي في النقد العربي في ثمانينات القرن العشرين، من خلال الأطروحات الأكاديمية التي قدمها بعض النقاد العرب من بينهم الناقد عبد الكريم حسن.

- للمنهج الموضوعاتي مجموعة من المفاهيم نذكرها كالآتي: التيمة، الجذر، الموضوع المهيمن، العائلة اللغوية...

- إن المواضيع التي ذكرت في الرواية كانت تعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها البطل المغترب.

- هيمن موضوع الاغتراب على رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"، فاكتسب العديد من المفردات التي تشكل عائلته اللغوية.

- للاغتراب في الرواية مواضيع فرعية (الحرب، الحب)، ولهذين الموضوعين ألفاظ تشكل عائلتيهما اللغوية، وهما يتفرعان بدورهما إلى مواضيع فرعية صغرى.

- سيطر الاغتراب على صورة المكان في الرواية فتحكم في الدلالات.

- فرض الاغتراب حضور تقنية الاسترجاع بقوة في الرواية، ونظرا لاغتراب الشخصيات فهي تعيش حاضرا مؤلما أجبرها على العودة إلى الماضي والعيش فيه.

- أثر الاغتراب على فنيات الرواية وعلى العتبات النصية؛ فجاء العنوان مشحونا بإيحاءات الغربة والقلق...

- عبرت صورة الغلاف، وكذلك ألوانه الباهتة، عن حالة الاغتراب والحزن والحيرة والفراق والبعد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1. داتسيدا ديراو: أرهقتني المكسيك يا ماروشكا، دار المثقف للنشر والتوزيع، ط 1، 2018.

ثانيا: المراجع العربية

1. إعداد المكتب العالمي للبحوث، الحب عند العرب دراسة أدبية تاريخية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، د ت.
2. بركات حليم: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط01، 2006.
3. بوعلامات أمينة: الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في الفترة (1925-1980)، تلمسان، 08 جوان 2011.
4. جعفر محمد راضي: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2013.
5. الجماعي صلاح الدين أحمد: الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2010.
6. حبيب صموئيل ، كتب سيكولوجية الخوف، دار الثقافة، القاهرة، ط01، (د.ت).
7. حدة ذيب: الاغتراب الديني عند فيورباخ وأثره على كارل ماركس، قسم الفلسفة، جامعة عباس لغرور، خنشلة.
8. حسن عبد الكريم: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
9. حمداوي جميل: المقاربة النقدية الموضوعاتية، مكتبة المثقف، ط01، 2015.
10. حمداوي جميل: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، هذا الكتاب منشور في شبكة الألوكة، المغرب، (د.ط)، 2011.

11. خليفة عبد اللطيف محمد: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003.
12. رجب محمود: الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط03، 1988.
13. سلامي سميرة: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع، دمشق، ط01، 2000.
14. شعبان عادل هنداوي: تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر، مركز اللغات الجامعة الحديثة، 27 يناير 2017.
15. عبود أوريدة: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفس ثائرة لعبد الله ركيبي.
16. عزام محمد: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي –دراسة- من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1999.
17. عزام محمد: وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان –دراسة- من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1998.
18. علوش سعيد: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، المغرب، ط01، 1989.
19. عمرون مليكة: التوحد والاغتراب في فلسفة ابن باجة، قسم الفلسفة، جامعة وهران.
20. العنزي سعاد عبد الله: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دراسة نقدية، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط 1، 2010.
21. عويضة كامل محمد محمد: علم نفس الشخصية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.
22. الفار أحمد السيد عبد الحميد محمد: مقالة الاغتراب الديني وتطبيقها على الإلهيات عند حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، 20-03-2021.

23. فاسي مصطفى: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ط، 2000.

24. الفلاحي أحمد علي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2013.

25. قاسم سيزا: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د ط، 2004.

26. لحمداني حميد ، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط01، 1990.

27. لحمداني حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991.

28. لحمداني حميد: سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، عن منشورات دراسات سيميائية أدبية ولسانية (دراسات سال)، فاس، المغرب، ط02، 2014.

29. مباركي هاجر، سعيدي محمد: إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟ مجلة العلامة، ع06، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، جوان، 2018.

30. المجذوب محمد: القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط 6، 2007.

31. مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تر: رضوان ظاظا، عالم المعرفة، الكويت، 1997.

32. مرشد ماجد قائد قاسم: جمالية التلقي في الكتابة الشعرية العربية من العتبات إلى النص، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، المملكة المغربية، ط 1، 2018.

33. مساعدية لزهر: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2013.

34. نظمي فارس كمال: الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار ؟؟؟؟ للطباعة والنشر، كردستان العراق، ط 1، 2007.

35. نعيمة وابل: الاغتراب عند كارل ماركس – دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة، (د.ط)، 2013.

36. وغليسي يوسف: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري كلام المنهج... فعل الكلام، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

37. وغليسي يوسف: النقد الجزائري المعاصر من "اللانسوية" إلى "الألسنية" إصدارات رابطة إبداع الثقافية، جامعة قسنطينة، (د.ط) (د.ت).

38. وغليسي يوسف: مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2007.

39. يوسف آمنة: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2015.

ثالثا: المراجع المترجمة

1. ماركس كارل: مخطوطات كارل ماركس، تر: محمد مستجير مصطفى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

2. هيغل: فنومينولوجيا الروح، تر وتقد: ناجي العونلي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط01، 2006.

رابعا: المجلات

1. بن خليفة وليد ، بوطارن محمد الهادي: الآليات الفنية لتوظيف ظاهرة الاغتراب في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج09، ع05، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2020.
2. الغامدي أحلام أحمد محمد ، الوحدة النفسية وعلاقتها بالأفكار اللاعقلانية لدى طالبات المرحلة الثانوية في مدينة الباحة، مجلة كلية التربية، ع110، جامعة المنصورة، إبريل 2020.
3. فاطمة الزهراء جدي: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر –الشعراء الرواد (أنموذجا)، مجلة النص، مج 08، ع 03، جامعة الجيلالي ليابس-سيدي بلعباس-الجزائر، 2021.
4. مباركي هاجر، سعيدي محمد: إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 09، ع 05، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2020.
5. مريمي سعاد: قراءة في مفهوم الاغتراب (Read the concept of alienation)، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع01، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب، 2020.
6. مليكة عمرون ، محمد كبير: مشكلة الاغتراب في فلسفة أبو حيان التوحيدي، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج07، ع02، جامعة وهران02، محمد بن أحمد (الجزائر)، أفريل 2022.
7. نورة فتاش: الاغتراب، دلالة المفهول وتجلياته في المجتمع العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، مج32، ع03، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، 2021.

خامسا: المعاجم

1. ابن منظور: لسان العرب، مج05/مج08، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1997.
2. الإمام الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط01، 1993.
3. بن مالك رشيد: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي – إنجليزي – فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، (د.ط)، فيفري 2000.
4. راغب نبيل: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط01، 2003.
5. عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج01، دار عالم الكتب، القاهرة، ط01، 2008.
6. الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج03، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003.

سادسا: المذكرات والرسائل

1. حواء تواتي ، بثينة بلغول: الاغتراب في رواية "ابن الرماد" لفوزية عرفات، شهادة ماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019-2020.

سابعا: المواقع الالكترونية

1. Ar.m.wikipedia.org
2. https://daqaeq.net
3. htts://blogs.icrc.org

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
اهداء	
مقدمة	**أ-ج**
الفصل الأول: الإطار المفهومي والمنهجي للدراسة	
توطئة	5
أولا: الاغتراب في الأدب	6
1- مفهوم الاغتراب	6
2- الاغتراب من منظور غربي	11
3- الاغتراب من منظور عربي	15
4- الاغتراب في الرواية	18
ثانيا: الموضوعاتية في النقد الأدبي	22
1- مفهوم الموضوعاتية	22
2- الموضوعاتية من منظور غربي	25
3- الموضوعاتية من منظور عربي	28
4- مفاهيم الموضوعاتية	30
5- مبادئ النقد الموضوعاتي	33
خلاصة الفصل	35
الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا" لديراو داتسيدا	
توطئة	37
أولا: المستوى الموضوعاتي في رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"	37
1-الاغتراب /الموضوع المهيمن	37
2- موضوع الحرب وصلته بالاغتراب	46

3- موضوع الحب وصلته بالاغتراب	52
ثانيا: أثر الاغتراب على فنيات رواية "أرهقتني المكسيك يا ماروشكا"	56
1- الفضاء وتجليات الاغتراب	56
2- الزمن وتجليات الاغتراب	62
3- العتبات وتجليات الاغتراب	66
خلاصة الفصل	70
خاتمة	**72**
قائمة المصادر والمراجع	**75**
فهرس الموضوعات	**82**